❑ مجالس الأنْس عند الصوفية

المفهوم الرمزى لمجالس الأنس:

لئن كانتْ ألفاظ اللغة العربية قـوالبَ صبّ فيها الغواةُ ما ذكرناه من معانٍ فى وصف الـطبيعـة، ومجالس الـشرب وغيـرها ـ فقد كـانت ذات الألفاظ قـوالب للصّوفية أفرغوا فيها أحَاسِيسَهُمْ بعد أنْ سَمَوْا بمعانيها، وارتَقَوْا بمفهوماتها، بحيث لم تعد الأماكن والبساتين والرِّياض ومـا يزينها من ضَوْءٍ نهارًا، ومن برق أو قمرٍ أو غيرهمـا ليْلا، ويجلِّلها مـن غمام أو سحب ويُفاض عـليهم منهـا من قطر أو غيث أو ندى، ويمتِّع ناظـريهم من نوافير وبِرَك وجداول ومياه، ويـشنف آذانهم من سماع، ويحرك عواطفـهم من جمال قيانٍ وغوانٍ وغلمان، ويُبْهج نـفوسهم من مشمـوم وطيب، ويُزيل همومهم وعـقولهم وظمأهم مـن مشروب، ويُحرِّك وُجْدانهم من طرب يعقبه رقـص وعربدة وخلاعة ـ لم يعُدْ كلّ ذلك، أو غَيْره ممّا يُناسبُه ـ هو ذات المعنى المراد للصوفية أو المقْصد المنشود لهم. . ذلك لأنّ وجود الله، وجماله وجلاله، وكـماله وكلامه، وحضرته وإبداعه ـ شغـل الصوفية عن كل ما ذكرناه وغيره.

وقد عبّرت عن ذلك شهيدة العشق الإلهى فقالت:

كانـــت لـقلـبى أهـــواء مُـفـرَّقَـةٌ ... فاستجمعت مُذْرأَتْك العينُ أهوائى[1]

وعبر غيرها أيضًا فقال:

أُلا حـظُه فـــى كلِّ شـــىءٍ رأيـــتُه ... وأدعـــوه سرًّا بـــالمنى فـيجـيب

ملأت بـه سَمْعى وقلْبى ونـاظرى ... وكلِّى وأجْزائـــى فأيـن يغـيـب[2]

---

(١) مشارق أنوار القلوب ص ٨٥.

(٢) مشارق أنوار القلوب ص ١٠٧.

لقد كـان العارفُ من هؤلاء ومايـزال، إذا شاهد هذه الأنوار المودعـة فى هذه القوالب الكثيفـة، ونقلها له البصر إلى الخيال، ثم جرّدها له الـفكر من علائقها وأوضاعها الجسـمية، وأوْصلها إلى النفس الـناطقة، فشهد بها فى ذاتـها بذاتها، واتّحدت بهـا، عرجت بهـا إلى محلِّها الأعْلـى، وأفق جنابهـا الأقدس الأسنَى، ولهذا نجد مَنْ عَشِقَ شخصًا حَسَن الصّورة الآدمية، تـام المحاسن، ونقلِ محاسن ظاهره المجردة إلى نفسه النّاطقة، ثـم غاب ذلك الشخص عن بصره مُدَّة، أو لم يغب ورآه بعد ذلك وقد ذهبتْ تلك المحاسـن عن هيكله، وأفلت شمس الجمال عن طَلَلِ جسمه، فإنه لايـحنّ إليه كما كان أوّلا، لأنه ينظر إلى نفسـه فيجدُ فيها تلك المحاسن مصوّرة علـى ما كانت عليه من الكمال، لم تتغـير ولم تتبدّل، بل ألطف مما كانت عليـه وأنسب إلى نفسه اللطيفة، ولم يبـق فى الخارج منها شىء فيقول:

﴿ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّظَٰلِمُونَ ﴾(٣).

. . ويعلـم حقيقة أنّ المعـشوق إنَّما هو تلـك الصورة المجرَّدة الحاصلـة عنده التـى لا تقبـل التّبديـل ولا التغـيير ـ لا مـا فى الخارج، وإنمـا كان جسـم ذلك الشخص مَحَلاً لها، وشرْطًا فى حصولها حينًا مَّا، وقد فارقته الآن، فيحب نفسه لما بها من صورة محبـوبه الحقيقية، ويـتغنى عن غَيره، ويـستريح من ألَم الفرقة وعذاب البُعْد لتمكّنه فـى مقام الاتحاد. فهذه هى العلة التى لأجـلها يهجر المحب أطْلال الجسم إذا رحل عنها الحبيب فيقول:

بعْـد الـنّقـا وفراق جيـران النّقى ... لا أسْرع الغـورَ الغـمامُ ولا سَقَى
وجَفَّتْ عوادى المزْن وادىَ ضارج ... والمنـحنـى من بـعْدهم لا أورَقَـا
ما الـنَّفْع بالأطلال وهى عـواطل ... يَوْمًـا إذا شَمَـلُ الخليـط تمـزّقـا

ومنْ لم يكن بـهذه الحال، وانتقل من محبّة شـخـص إلى شخْص آخر، ولم يحصـل له هذا المقصود، فـقد ضيّع عمره، وشـتّت شمْله وأتْعب نفْـسه وشقى

(٣) سورة يوسف الآية ٧٩.

الشّقاوة العظيمة، إذ المقصود الترقّى إلى واجب الوجود لا التردد فى حضيض عالم الأجسام.. أعاذنا الله من ذلك.

وَاضَيْعة العُمر لا الماضى انتفعت به ... ولا حصُلت على علم من الباقى
يفنَى الزّمان وآمالى مصرّمَةٌ ... مع مَنْ أحب على مطْلٍ وإمْلاق
قد كنتُ من أمَلى محبوسَ وصْلكم ... فوقّعَ الهجْر لى منكم بإطلاقى[٤]

هذا وما قيل عن تفريق المحبِّ بين الصّورة المثْلى المجرّدة عن الأجسام الحيوانية، وبين ما تحل به عرضًا من صور خارجية ـ يُقال كذلك عن المعالم الطبيعية من بساتين ورياض ومياه وضياء، كما يُقال عن السّماع وأدواته ومجالسه، وعَمَّا يُقَدَّم فى تلك المجالس من مشروبات[٥]..... علمًا بأنه كما تكتمل عند الغواة مثل ما ذكرناه[٦] من صور حسِّية ملاذُ الحواس الخمس[٧] تكْتمل بأقوى منها عند الصوفية ـ بنظائرها المعنوية ملاذُ حواسِّهم فينْعمون بجمال

(٤) مشارق أنوار القلوب ومَفَاتيح أسرار الغيوب لعبد الرحمن بن محمد الأنصارى المعروف بابن الدباغ، تحقيق هـ. ريتر، طبع دار صادر بيروت ص ١٠٨/ ١٠٩.

(٥) يفرق ابن الدبّاغ بين المعانى الذهنية للجمال الحيوانى، وبيْن غيرها، بما يفيد بأنّه ليْس فى الأخيرة معنى روحانى زائد على الجسمية، مناسب للنفس الزكية [راجع مشارق أنوار القلوب ص ١١١].

(٦) راجع مجالس الأنس عند الغواة.

(٧) إشارة إلى ما قاله الصفى فى [نفحات الأزهار للنابلسى ص ٢١٠]:

ومجلس لذة أمْسَى دُجَاه ... تضىء كأنه بدر منير
تجمع فيه مشموم وراح ... وعيدان وولدان وحور
تَلَذَّذَت الحواس الخمس فيه ... بخمس يُسْتَتَمُّ بها السرور
فكان الضَّمّ قم اللمس فيه ... وقم الذوق كاسات تدور
وللسمع الأغانى، والغوانى ... لِنَاظِرِنَا وللشم البُخُورُ

هذا وكنا قد سجلنا نفس هذه الأبيات سابقًا، وقد أَعَدْنَاهَا هنا لتشير إلى أنّ الشيخ النابلسى قال الآتى عَمَّا يجده الصوفية فى خَمْرَتهم المعنوية من ملاذ:

بها للحواس الخمس مناتمتع ... فسمع ولمس ذوقنا بصرشم
وللعقل أيضاً لذة فى جمالها ... وسِرٌّ بدا منها له وجب الكتم

راجع ديوان الحقائق ج ٢ ص ٨٧.

ذاتِ الله ويتذوّقون حَلاوة خمرة محبته وأسْراره، ويشمّون طيب معرفته، ويتلذّذون بنشْوة سماع أرْواحهم لخطابه لهم فى عالم ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾، ويتّخذون من عالم الخلق مرآة تعكس وجود الخالق، فلا يبْقى عندهم موجودٌ سواه، وعندها تراهم وقد غشيهم ماغشى سيِّدنا موسى من صَعْقَة ومحْو وغيْبة ـ يصيحون:

تبدّى لنا فى كل شىء حبيبُنا ... فتهْنا كماتاه الكليم به عجبا
وما نحنُ إلاّ حجبه وهو سرُّنا ... ويَفهم سرَّ الحجب من فهم الحجبا [٨]

ويقولون:

أرى كل شىء لاح للعيْن مرآه ... أشاهد فيه وجه من أنا أهواه
فهل عاشق إلاَّ لوجهك عشقه ... وهلْ نَفَسٌ إلاّ سرى منك ريَّاه ؟
فلا ذاكرٌ إلاَّ لأجْلك ذِكْرُه ... ولا راحلٌ إلاّ لقصْدك مسْراه
ولا شىء إلاّ أنْت فيه مَمثَّل ... مقيم وإنْ لاحتْ لعيْنى أشباه [٩]

ويقولون:

فلاتك مفتونًا بحسِّك معْجبًا ... بنفْسك موقوفًا على لبس غرة
وفارقْ ضلالَ الفرْق فالجمع مُنتج ... هدى فرقة بالاتحاد تحدّت
وصرِّح بإطْلاق الجمال ولا تقل ... بتقيده ميْلا لزخرف زينة
فكلّ مليح حُسنه من جمالها ... مُعَارٌ له بل حُسْن كلّ مليحة
بها قيْس لُبنَى هامَ بلْ كلّ عاشق ... كمجْنون لَيْلَى أو كُثَيِّر عَزَّة
فكلٌّ صبا منهم إلى وصْف لبسها ... بصورة حُسْن لاح فى حُسْن صورة
وماذاك إلاّ أنْ بَدَتْ بمظاهر ... فظنُّوا سواها وهى فيهم تجلّت

---

(٨) مشارق أنوار القلوب ص ١٣ .

(٩) مشارق أنوار القلوب ص ٩١ .

بـدت باحتِجَابٍ واختـفـت بمـظاهـر على صيغ التكوين فى كل برزة (١٠)

إنّ كلام الصوفية من منظوم ومَنْثُورٍ لا يفتأ يدور عن الله:

هـو البـحْر عـنْه لا يـزول كلامُهـم فعَـنْ مَوْجـهِ طوْرًا وطوْرًا عـن المـاء
وكـلّ كـلام قـد أتـى مـتـكـلِّم بـه فهو منْه عنْه فى رمـز أسماء (١١)

بناءً علـى كل ما تقدم، أذكر أنّ الـصّوفية وقد أرادوا صرْف العـامة عن حبِّ الدنيا، وما فيها من متاع ولهو ولـعب وزينة، رأوا أن يُحدّثوا النّاس بما يفهمون، فصبُّوا معانيهـم الرمزية فى القوالب المألوفة للسّامعين، لبـتـنّى لهم بذلك لفْت أنظارهم، وتشويقهم إلى ما أرادوه لهم من مُثُل وقيم:

أماكن الشّراب المعنوى:

هذا، وحـيث أنّ الـغواة قـد أولعوا بـذكْر مجـالس الـشّرب فى أشْعـارهم، وماتضمُّه تلك المجالس من ملاهٍ ومجون وغيرها، فقد اضـطر الصوفية للإشارة إلى تلـك المجالس وغيرهـا، لامن المنطلق الـشهْوانى الذى انْحَدَرَ إليـه الغواة، وإنَّما من المنْطـلق العرفانى، والمفهـوم القرآنى الذى أناره لهم المـوْلى جلّ وعلا بوصفه لمجالـس الأنس فى الجنة؛ إذْ ذكر ما فيهـا من سرر، وأرائك، ورفارف، وفُرُش بَطائـنها منْ إسْتـبرق، وأشار لـطريقة الجـلوس فيـها، حيـث ورد: أنّهم يكونون على سُرُرٍ متقابلين، لا يستدبر أحدٌ منهم صاحبَه ولا يعْلو عليْه(١٢).

ووصف سُقـاة الخمْر من الوِلْدان بـجمال الـصّورة، وجمال الزِّىِّ، وجـمال الزِّيـنة، ووصف الخمْر بمـا لم يصفْ بـه مشروبًا آخر فـى المذاق واللذة، فـهى بالإضافـة إلى أنَّها لذة لـلشَّاربين ـ هى ذاتُ مزاج زنْجـبيلى أو كـافورى، ولون

(١٠) التفسير القرآنى واللغة الصوفية فى فلسفة ابن سينا للدكتور حسن عاصى ـ طبع بيروت سنة ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م/ المؤسسة الجامعيّة للدراسات والنشر والتوزيع ص ٣٥٣/ ٣٥٤.

(١١) ديوان الحقائق ج ١ ص ١٩.

(١٢) التفسير الكبير ج ٢٩ ص ١٤٩.

أبْيض، لا تغيِّب عـقْل شاربها ولا تـسبِّب لـه ألَمًا؛ علْمًا بأنّ كأساتهـا من معين، وآنيتها من فضَّة، وأكـوابها كانت قواريرَا، قواريرَ من فضّة صافـية، قُدِّر ما فيها من مشـروب على قدر رِيِّ الشّارب له لا يـزيد ولا ينقص، بلْ قُدِّر حـجْم تلك الأوانى بمقْدار ملءِ كفٍّ حاملها حتى لا تعظم عليه فتثْقل(١٣).

هذا بالإضافة إلى مـا فى تلك المجالس من حُورٍ عين كأمْثال الـلؤلؤ المكْنون، ولحم طير مما يـشتهيه المُتآنسون، وفاكهـة يُطاف عليهم بها فـى صحاف من ذهب يُسَرُّ بأكْلِهَا المتنادمون.. وجوٌّ طبيعى لا يَرَى فيه أولئك المترفّهون من ذوى النعيم والملـك الكبيـر، والثيـاب السّندسـية، والأساور الفـضِّية ـ لا يرون ثـمـًا ولا زمْهريرًا، دانية عليهم ظلالها وذُلِّلَتْ قُطوفُها تذْليلا.

يقول المولى جل وعلا:

﴿ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴾(١٤).

ويقول الحقّ سبحانه:

﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴿٦٠﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَامَّتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا

(١٣) التفسير الكبير ج ٣٠ ص ٢٥٠.

(١٤) سورة الصافات ـ الآيات ٤٣ ـ ٤٩.

تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِي ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ تَبَارَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِي ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾(١٥).

ويقول جل وعلا:

﴿ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴾(١٦).

ويقول عزّ وجلّ:

مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۠ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴾(١٧).

---

(١٥) سورة الرحمن ـ الآيات ٤٦ ـ ٧٨.

(١٦) سورة الواقعة ـ الآيات ١٥ ـ ٢٦.

(١٧) سورة الإنسان ـ الآيات ١٣ ـ ٢١.

الخلاصة:

أخلص من كل ما تقدم بأنّ مفهوم المكان والزّمان وغيرهما من المحسوسات أو المعقولات ـ إنَّما يتعرف عليه الفرد إذا كان مالكاً لوعيه، مُدْرِكاً لأفعاله، أمَّا إنْ غاب عن إحساسه، وسكِرَ من الأُنس بالله، وطرب من نشوة اللِّقاء به والتقرب منه، وصعق من مراقبة تجلِّيات جلاله، ومظاهر عظمة ذاته، فإنه حينئذ يفقد الإدراك العقْلى، والاهتمام الإنْسانى الذى يميّز به بين مختلف المخلوقات:

فى مثل هذه الحال التى تتوحد فيها لدى العابد أهواؤه المتفرقة[١٨] ـ يصير كلام الصُّوفىِّ غير ما تُعطى العبارات:

كلامنا غَير ما تعطى العبارات ... من المعانى لنافيه اعتبارات
بنفسه قائم وهو المجرّد عنْ ... لفْظ ومعنًى معًا، وهو الإشارات
هما الكثيفان والسر اللطيف له ... علاقة بهما فيها التفاتات
كالروح يظهر من نفس ومن جسد ... وليس يكشفه إلا العنايات
فلا تظنَّ بأنِّى إنْ وصفت حُلَى ... شىء مرادى به تلك الإحالات
أو إنْ ذكرتُ نسيمًا هبّ من جهة ... أو نفحة، هى قصدى والمرادات
كذلك البرق والأطلال أذكرُها ... فى النّظم ليست مُرادى والحمامات
لا والذى جلّ عَمَّا للعقول بدا ... وللحواس به الأحياء أموات
كلام أهْل طريق الله سرٌّ هُدًى ... لا دخْل فيه لهم تُبْديه أبيات
عن المواد له التجريد مخطئة ... منك التآويل فيه والقياسات
لم يدْره دو انتقاد فى تعنُّته ... لنفه زعْم عِلْم واجتهادات

(١٨) إلى مثل ذلك يشير قول رابعة العدوية [مشارق أنوار القلوب ص ٨٥]:

كانت لقلبى أهْواءٌ مُفرَّقة ... فاجْمعتْ مُذْ رأتْكَ العيْنُ أهْوائى
وصار يحْدُنى من كنتُ أحسده ... وصرت مولى الورَى مذ صرت مولائى
تركتُ للناس دُنْيَاهُمْ ودينهم ... شغلاً بحبك يادينى ودنيائى

فيعرب اللفظ للمعنى فيفهمه ولا يبين له إلاّ الضلالات
ومقْصد القوم نور فى القلوب سرى من القلوب وما فيه التباسات
رموز أسرار قوم تستعد له أرْواح قوم لهم فى الله راحات
روائح القوم شمتها بصائرهم لهم إلى الحقِّ همات ورغبات
لهم نظمنا المعانى يلمحون بها غيب الغيوب وتُخفيها العبارات (١٩)

على ضوء ما تقدّم من مفْهوم، أُشير فيما يلى إلى بعض ماورد عن الصّوفية من أشعار، ظاهرُها وصفُ مجالس الأنس والطبيعة وغيرها، وباطنها غير ماتعطى العبارة، ويدل عليه الأسلوب، ويحتويه قاموس اللغة.

١ ـ بيوت الله:

بيوت الله هى المشار إليها بقوله تعالى: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾.

[سورة النور الآيات من ٣٦ ـ ٣٨].

هذا هو المعنى الحقيقىّ أو الأصْلى لبيوت الله، أما المعنى المجازى ـ ومثله الغيْبى ـ لنفس البيوت فيمثّله ما ورد من أنّ القلب بيتُ الرّبِّ، وأنّه لم تسع المولى أرضه ولا سماؤه وإنّما وَسِعَهُ قلبُ عبده المؤمن.

المفهوم الرمزى للفظ البيت عند الصوفية:

هذا والصّوفية وإن استعملوا لفظ البيت بمعناه الحقيقىّ تارة، فقد استعملوا نفس اللفظ بمعنى غيْبى ومجازى تارة أخرى.

---

(١٩) ديوان الحقائق ج ١ ص ٩٥/ ٩٦.

وقد ورد عنهم فى ذلك ما يلى:

تجرّد عن الأغْيار فى القوْل والفعل ... وباعدْ شتات القلب فى القرب والوصْل
وطهِّر بيوتَ الله من كلِّ صورةٍ ... فما البيتُ إلاّ القلبُ إنْ كنت أغْفَلِ [٢٠]

ويقول آخر:

فهى خمرة الأفراح لما شربتُها ... نظرتُ إلى الأمْلاك والبدرِ والشّمْسِ
وغنيت أشعارًا على كِنكِ عودها ... وكأس الهوى يجلى وقد طال لى عرسى
فطورًا ترانى عَالِمًا متفقِّهًا ... وطورًا ترانى راهب الدير والقس
وطوْرًا ترانى فى المساجد عاكفًا ... أُصَلِّى وأقْرأُ فى الخفاء وفى الحس [٢١]

ويقول غيره:

وهل أمَّ بَيْتَ الله يا أُمَّ مالكٍ ... عُرَيْبٌ لهم عنْدى جميعًا صنائع [٢٢]

ويقول غيره:

تبكى المساجد من توديعه أسفًا ... على الفراقِ ومِنْ وجْدٍ لها حصلا [٢٣]

ويقول غيره:

لا أوحش الرحَمنُ منك مساجدًا ... معمورةً بتواجد وهُيَام [٢٤]

ويقول آخر:

تبْكى المساجدُ أحزانا لفُرقته ... ما بالكم قلبُكم كالصّخر مالانا [٢٥]

ويقول غيره:

سرى بليلٍ سارا * لاقى به أنوارا * يعلو به الأقمارا
من طلْعة العدنان

(٢٠) قاموس الأناشيد ص ٤٠٢.
(٢١) قاموس الأناشيد ص ٤٨٩.
(٢٢) قاموس الأناشيد ص ١٥٥.
(٢٣) قاموس الأناشيد ص ٣٤١.
(٢٤) قاموس الأناشيد ص ٣٤٢.
(٢٥) قاموس الأناشيد ص ٣٤٤.

وافى ببيت القدس * فى العز ثُمّ الأُنْسِ * بكل فَصْل يُمسى
سِمو على الأكوان[٢٦]

ويقول سيِّدى الشيخ قريب الله:

محمد المصطفى خير الوجود ومن أسْرى به الله ليْلاً وهو مقْتدر
من الحرام إلى الأقصى وخادمه جبريلُ ميكال إسْرافيل فاعتبروا [٢٧]

ويقول غيره:

نبىٌّ كريم رءوف رحيم له بيْن كل الأنام احْتشام
به الله أسْرَى إلى القدس ليْلاً من البيت وهو المحلّ الحرام [٢٨]

ويقول سيدى الشيخ قريب الله:

أيا ساريًا باللّيْل والليلُ مُظْلِمٌ أفدْنِىَ أين القوم ياصاح خيّموا
نعم خيموا بالقلْب والقلب بَيْتهم فطهِّره للكنى إذا كنتَ تفهم [٢٩]

ويقول ابن عربى:

يا أيها البيت العتيق تعالى نورٌ لكم بقلوبنا يتلالا [٣٠]

٢ ـ الخلوة أو العزلة:

الخلوة لفظ مفرد جمعه خلوات، وهى فى الأصْل مكان الاخْتلاء[٣١]، غير

---

(٢٦) قاموس الأناشيد ص ٣١٨.

(٢٧) رشفات المدام ص ١٩٨.

(٢٨) قاموس الأناشيد ص ٣٢٢.

(٢٩) رشفات المدام ص ٣١٥ القصيدة رقم ٤٧٠.

(٣٠) ذخائر الأعلاق ص ١٥٨.

(٣١) المنجد.

أنّها باستعمال الصوفية لها اكتسبت مَعْنًى خاصًّا مقصورًا على اخْتلاء العبْد بمولاه أوْ لمولاه، اسْتنادًا إلى عدّة أدلّة، منها:

قوله تعالى:

﴿ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى ﴾(٣٢).

وقوله تعالى:

﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾(٣٣).

وقوله تعالى:

﴿ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ لِى فَٱعْتَزِلُونِ ﴾(٣٤).

وقوله تعالى:

﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴾(٣٥).

وقوله تعالى:

﴿ فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾(٣٦).

وقوله تعالى:

﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴾(٣٧).

---

(٣٢) سورة مريم ـ الآية ٤٨.

(٣٣) سورة مريم الآية ٤٩.

(٣٤) سورة الدخان الآية ٢١.

(٣٥) سورة الكهف ـ الآية ١٦.

(٣٦) سورة الذاريات ـ الآية ٥٠.

(٣٧) سورة الفرقان ـ الآيتان: ٢٧ و٢٨.

وقوله عليه السلام:

«خير الناس مَنْ يجاهد فى سبيل الله بنفسه وماله، ثم رجل يعبد الله فى شِعْب من الشِّعاب ويدع الناس من شره»(٣٨).

وقوله:

«أحبّ النَّاس إلى الله تعالى الفرَّارُون بدينهم، يبعثُهم الله مع عيسى بن مريم يوم القيامة»(٣٩).

وقوله: «إنّ اللهَ يحب العبدَ التقىَّ الغنىَّ الخفىَّ»(٤٠).

أنواع الخلوة:

قسَّم العلماء الخلوة إلى مايأتى:

١ ـ **الخلوة الظاهرة**: وقد عنوا بها اختلاء السَّالك فى بيْتٍ خالٍ من النَّاس وقعُودُه فيه ليحصل له اطِّلاع فى عالم الملكوت، لأنَّ الحواس الظاهرة متى احتبت عن أحكامها ـ انْطلقت الحواسّ الباطنة لمطالعة آيات الملكوت.

٢ ـ **الخلوة الباطنة**: أو الخلوة فى الجلْوة؛ وقد عنوا بها استيلاء الذكر على حقيقة القلب، أو استيلاء النسبة العلية، بحيثُ لايُنافيها مَعِيَّة الخلق، وتَضرُّهَا المعاملة معهم(٤١).

أصْحابُ الخلوة:

أصحابُ الخلوة ثلاثة أنواع:

النوع الأول: السالك لله، وهو المنفرد عن الخلق، المنعزل عن الناس، إيثَارًا

(٣٨) إحياء علوم الدين باب العزلة.

(٣٩) إحياء علوم الدين باب العزلة.

(٤٠) إحياء علوم الدين باب العزلة.

(٤١) المنهج الصوفى فى التربية والدعوة إلى الله، لسيدى الفاتح الشيخ قريب الله ـ طبع دار الجيل بيروت سنة ١٤١١هـ/ ١٩٩١م ـ ص ٦١/ ٦٤. وراجع أيضًا عن مفهوم الخلوة والعزلة وأنواعها وغيرها: الفتوحات الإلهية لابن عجيبة ج ٢ ص ١٦٠.

منه لله علـى مخلوقاته، إذْ مَنْ خَالَطَ الـناسَ دَارَاهُم، ومَنْ دَارَاهُم رآهم، ومَنْ رآهم نافقهم، ومن نافقهم استحقّ الدرْك الأسفل من النّار.

النوع الثانى: المحقّق بالله.. وهو منْ لا وَصْفَ له ولا ذات، ولاحيطة تحوطه من الكـائنات.. إنّه الفانـى فى حبِّ الله، المـتغـرق فى جلال الله، البعـيد عن دائرة الأكوان المحـيطة، النّاسـى للذّات البـشرية، الهـائم فى سبـوحات الأنوار الإلهية، المنفرد لله وبالله، الذى لايشغله الغير عن الله.

النوع الثالث: العارف بالله.. وهو مَنْ يغيب عن الآثار برؤية المؤثِّر، ويصير - وإنْ كان مصاحبًا للنّاس بجسمه - فى خلوة عنهم بروحه[٤٢].

نماذج مما جاء من آثار عن الاستعمال الرمزى للفْظ الخلوة والعزلة:

جاء عن لفظ الخلوة والعزلة بالله ولله مايأتى:

يقول ابن عربى:

وحشية مـا بـها إنْسٌ قـد اتـخـذت فى بيْت خلوتها لـلـذكـر نـاووسـا

هذا ومما جاء فى معنى الـبيت: أنّ الشـاعر كـنّى بالبيت عـن قـلْبه وخلوتـها فيـه نظرهـا إلـى نفـسها، فـإنَّ الحـق يقـول: «ما وسـعنى أرضـى ولاسـمائى ووسعنى قلـب عبدى المؤمن».. علْمًا بأنـه لمـا كـان هـذا القـلـب الـذى وسـع هـذه الحكمة الذاتية الـعيـوية فى مقام التجريد والتنزيه كـان كالفـلاة، وكانـت فيـه كالوحش.. ومـن ثَمَّ ذكّرها بحال الفـراق ليزهِّـدهـا فـى اتخـاذ الأُلْفَـة، ذاكـرًا لـهـا لفـظ «الـنـاووس»، وهـو قـبر من رخـام كـان قـد اتُّخِـذَ مـدفنًا لملـوك الروم[٤٣].

---

(٤٢) المنهج الصّوفى فى التربية والدعوة إلى الله ص ٥٧/ ٦١.

(٤٣) ذخائر الأعْلاق ص ١٥.

ويقول بعض العارفين:

طاب شراب المدام فى الخلوات فاسْقنا ياندیم فى الآنيات
خمرة تَرْكُها علينا حرامٌ ليس فيها إثم ولا شبهات (٤٤)

ويقول آخر:

فراحَى بكر لاتُشابُ بريبةٍ وقد جُليتْ فى الكأس ليْلاً بخلْوةِ (٤٥)

ويقول سيِّدى الشيخ قريب الله:

يا عزلةً فيها الهنَا والأُنْس بالله العَلِى
أنت الحياة لقلبنا منْك البصائر تنْجلِى
يا ليْت عمرى كله فيكِ انقضَى ياليت لى
عزمًا على ترك الهَوَى وإنَابة المترسلِ
وسياحةً ونياحةً شوقا إلى الله الولى (٤٦)

ويقول غيره:

إذا اجتمعوا فى خلوة الذكر فى الدُّجى بمقعد صدْقٍ والزّجاجات دائرهْ
ترى أعين العشاق نحو حبيبهم إلى ذلك الوجه المقدس ناظره (٤٧)

٣ ـ الحانة:

الحانة فى الأصْل موْضع بيع الخمر الحسىِّ، وجمعها (الحان)، مثلها فى ذلك مثل: حاجة وحاج، وساعة وساع؛ على أنّ المعْنى الرمزىِّ لها عند الصوفية يفيد الإشارة إلى كلِّ شَىْءٍ، انطلاقًا مِنْ أنّ المراد من الخمْر الكِنَايَةُ عن الوجود الحقّ

(٤٤) قاموس الاناشيد ص ٢٠٤.
(٤٥) قاموس الأناشيد ص ٢٧٨.
(٤٦) رشفات المدام ص ٢٩٠.
(٤٧) قاموس الأناشيد ص ١٩٨.

الواحد الأحد، الذى له ظهور وتجلٍّ وانكشاف بتقدير كلّ شىء وتصويره، فكأنّ كلّ شىء حانة على الاستقلال: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾، كما أنّ ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾(٤٨) . . وفق هذا المفهوم وردت النماذج الآتية:

يقول النابلسى:

قوموا اسكروا يـاقـوم فـى حـانـتـى فـاللـّيـْل فـيـه ضـوء نِبـراس (٤٩)

ويقول النابلسى:

وَبِتُّ فـى ثـرى حاناتـهـا متلفِّفـًا بأثْواب ذلٍّ فى هـواهـا بها تسْمو(٥٠)

ويقول النابلسى أيضًا:

قـمْ للمـدام أخَـا الغـرا م وطُفْ بنا فى كلِّ حان(٥١)

ويقول أيضًا:

هى الحانات والكأسات تُمْلَى فنسقيـهـا القـلـوب الآمنينـا
وتكشف وجهها لرجال صدْقٍ مَحَارِمُهَـا وليسـوا أجْنبيـنا
عصابـة وحـدة كانـوا بخبْـثٍ فجاءونـا فصـاروا طاهريـنا
يظـلّ يسوقـهم سـاقى الحميّـا إلى حان الطّلاحينًا فحينا(٥٢)

ويقول آخر:

سكرت بخمر الحبِّ فى حـان حبِّها وفى خمْره للعاشـقين مـنـافـع (٥٣)

---

(٤٨) شرح ديوان ابن الفارض ج ٢ ص ١٧٩/ ١٩٤ والآيتان المذكورتان هما الآية ٨٨ من سورة القصص، والآية رقم ٢٦ من سورة الرحمن.

(٤٩) ديوان الحقائق ج ١ ص ٢٧١.

(٥٠) ديوان الحقائق ج ٢ ص ٨٧.

(٥١) ديوان الحقائق ج٢ ص ١٢٣.

(٥٢) ديوان الحقائق ج ٢ ص ١٧١.

(٥٣) قاموس الأناشيد ص ١٦٣.

ويقول آخر:

طاب السّماع وهبّت النّسَمات وتواجدت فى حانها السّادات [٥٤]

ويقول النابلسى:

زرْ بنات القوس فى ديْرهنّ وارتشفْ خمرهن من يدهنَّه
وادْخلِ الحانَ حان وصْلك للغيد اللواتى أعْربن فى لحنهنَّه [٥٥]

ويقول أيضًا:

هذه الكائنات أم هى حَانَهْ أسْكرتنا كئوسها الملآنَهْ [٥٦]

ويقول أيضًا:

هات حدِّث أيا نديم عن سناطلعة الحبيب
وأَدِرْ خمْرنا القديم كأسها يكر اللبيب
ذاب فى حانها الكليم وبها عبْدها مُنيب [٥٧]

ويقول غيره:

فبادِرْ إلى الحانات نحو دنانها وعَلِّ لها الزنَّار وأصْبح كما تُمسى [٥٨]

ويقول ابن الفارض فى التّائية الكبرى:

فبى مجلس الأذكار سمْعُ مطالع ولى حانة الخمَّارعيْن طليعة [٥٩]

---

(٥٤) قاموس الأناشيد ص ١٩٣.

(٥٥) ديوان الحقائق ج ٢ ص ١٨٦.

(٥٦) ديوان الحقائق ج ٢ ص ١٩١.

(٥٧) ديوان الحقائق ج ٢ ص ٢٣٣.

(٥٨) قاموس الأناشيد ص ٤٨٩.

(٥٩) قاموس الأناشيد ص ١٠٤.

ويقول آخر:

قم وبادرْ لحاننا بخضوع وتمتّع بِحُسْنِنَا يا مُعنَّى[٦٠]

ويقول غيره:

دعيت لحانكم فسقيْتُمونى بكأسٍ نشره مسك يفوح[٦١]

ويقول غيره:

قد راق فى حان الوفا مشروبهم ولهم أباح وصاله محبوبهم
صوفية تبدى الشهود غيوبهم صافاهم فصفواله فقلوبهم
فى نوره المشكاة والمصباح[٦٢]

ويقول آخر:

اسْقنى فى الحان راحى فهى روحى وارْتياحى[٦٣]

ويقول آخر:

وتهتك فى الحان بين النَّدَامى إنْ أردتَ الوصال والقرب منِّى[٦٤]

ويقول غيره:

ولو شاهدتْ عيْناك أنوارَ حانها تركتَ ملامى والأنامُ هواجع[٦٥]

ويقول غيره:

فدخلنا لحانها وشربْنا من شراب ونعْم هذا الشراب[٦٦]

(٦٠) قاموس الأناشيد ص ٢٢٠.
(٦١) قاموس الأناشيد ص ٢٣٧.
(٦٢) قاموس الأناشيد ص ١١٢.
(٦٣) قاموس الأناشيد ص ٢٥٥.
(٦٤) قاموس الأناشيد ص ٢٦٠.
(٦٥) قاموس الأناشيد ص ٣٧٧.
(٦٦) قاموس الأناشيد ص ٣٩١.

ويقول غيره:

يافقيه لوْ رِيتْ الحان والكأس يدور ... والندامى والإخوانْ شبه البدور
كنت تعذرنى يا صاح على الخمور ... كنت تشرب من الجرما هُو شُوَىْ [٦٧]

ويقول غيره:

ادخلوا حان اتِّصالى ... تسمعوا منِّى خطابا
صُنْ جمالاً قد تغالى ... وسنا أضْحَى مهابا[٦٨]

ويقول غيره:

نحْنُ فى الحان حضَرْنا ... بعْد كَسْر فجُبرنا[٦٩]

ويقول غيره:

دخلنا الحان والكاسات تُجْلَى ... ظننا أنّ فى الكاسات نارا[٧٠]

ويقول غيره:

وبه رجال الله راق مدامهم ... فتمايلوا طربًا بحضرة غافر
فكأنه للقوم حان خلاعةٍ ... ما بَيْن صاحٍ منهمو أوْ ساكر[٧١]

ويقول النابلسى:

وهم الحان والدنان وكاسا ... ت الطلا والديار والأبواب[٧٢]

ويقول أيضًا:

يا نديمى بحانة الغيْب إن الغيب ... كالعيْن لم يزل نضَّاخا

---

(٦٧) قاموس الأناشيد ص ٤٣٧.
(٦٨) قاموس الأناشيد ص ٤٣٩.
(٦٩) قاموس الأناشيد ص ٤٤٢.
(٧٠) قاموس الأناشيد ص ٤٦١.
(٧١) قاموس الأناشيد ص ٤٧٤.
(٧٢) ديوان الحقائق ج ١ ص ٣٦.

فامْـــلأ الكـــاسَ لـــى ولا تـــترنّمْ بسوى مَنْ به السِّوى فـيه ساخا[٧٣]

ويقول أيضًا:

هى الحانات والكاسات والطاس والطِّلا ودنّ الحميا والـذى صنع الـدنّا [٧٤]

ويقول أيضًا:

هـــــذا حَانـــــــــى جمـــع القـــوم السّكـــارى
مَـــــنْ يلحَانـــــــــى ليس يدْرى حسـن ذاتى[٧٥]

ويقول سيدى الشيخ قريب الله:

هـذه الحـانـاتْ * أحيتِ الأمْـوات * هـات منها هاتْ * يا إمـام القـوم[٧٦]

٤ ـ الديْر:

الديْر جمْعُهُ: أدْيرة، وديورة، وأدْيار[٧٧]، وهو فى الأصل مـــكن الرّهبان، وقد جاءت الإشـارة إليه فى الأشعار الـصوفية بما يـفيد الحضرة الإلهـية. . وعن ذلك ورد مايأتى:

يقول سيدى النابلسى:

جَرِّدْ فؤادك عن الأغـيار طار الطـير فى حُبِّ ليْلى فلا تدخل عليها الديْر
هيهات لست تَرَاهَـا يـا قـليل الخـير بالعين تلك التى تنـظر بها للغير [٧٨]

(٧٣) ديوان الحقائق ج ١ ص ١٣٦.
(٧٤) ديوان الحقائق ج ٢ ص ١٢٠.
(٧٥) ديوان الحقائق ج ١ ص ٩١.
(٧٦) رشفات المدام ص ٣٢٠، هذا وللمزيد من النماذج عن (الحان) يمكن مراجعة ديوان الحقائق للنابلسى ج ٢ ص ١٧١/ ١٨٦/ ١٩١/ ٢٣٣/ وج ١ ص ٣٥/ ٣٦/ ٤٠/ ١٢٧/ ٢٦١/ ٢٦٩/ ٢٧١/ ٣٥٩ ورشفات المدام ص ٢٩/ ٨٤/ ٨٨/ ١٥٩/ ٢٠٤/ ٢١٨/ ٣٢٠/ ٣٢٤/ ٣٦٨/ ٣٧٦/ ٣٩١.
(٧٧) المنجد مادة (دار) (رقم ٤ تدير).
(٧٨) ديوان الحقائق ج ١ ص ٢٤٣.

ويقول أيضًا:

طرقتُ ديْر الهوى دارتْ دوائره ... على الرهابين فيه والقساقيس
نفوس أغيار عين فى برانسها ... مزخرفات كأذناب الطواويس
حتى نظرتُ بعيْن العين فانكشفت ... موتى الشمامس منها فى النواميس[٧٩]

ويقول:

فتحوا باب ديرها فشممْنا ... نفْحة المسْك من فم الشماس
وسكرنا براهب الدير لما ... هبّ منها معطّر الأنفاس[٨٠]

ويقول غيره:

وقد لاح ركب يموا الديْر والحِمَى ... إلى منبع الخمر العتيق بسرعة
ولما طرقنا الديْر وهو إشارة ... ودائرة للسالكين بحضرة[٨١]

ويقول:

سكنتْ ديرها الأكابر منّا ... وانجلى كأسها على كلِّ ملهم[٨٢]

ويقول النابلسى:

وادْخُل كنيسة ديْرها ... واعْكف على بنت الدنان[٨٣]

ويقول أيضًا:

بالله يا بارئ الأسرار قف نفسًا
فالكون نور ومن يلهو يرى غلسا

---

(٧٩) ديوان الحقائق ج ١ ص ٢٦٦.
(٨٠) ديوان الحقائق ج ١ ص ٢٧٠.
(٨١) قاموس الأناشيد ص ٣٥٥.
(٨٢) ديوان الحقائق ج ٢ ص ٧٣.
(٨٣) ديوان الحقائق ج ٢ ص ١٢٣.

أنّى أردت الهدى خذ منه لى قبسا

واحططْ رحالى بباب الديْر ملتمسا راحًا فقيوم ذاك الديْر لى دانى[٨٤]

ويقول غيره:

فاشربْ وغبْ عنك واعزل عزل منعزل عَمًّا حييتَ ولازمْ حانَ خمَّار[٨٥]

ويقول النابلسى:

زُرْ بنات القسوس فى ديْرهن وارْتشفْ خمرهنّ من يدهنّه[٨٦]

ويقول غيره:

هنيئًا لأَهْل الدير فى حضرة القدس بشمْس جلت أنوارُها ظلمة الشمس[٨٧]

ويقول الشيخ قريب الله:

سعدت من أتى اسْقنى كأسها ديرها يا فتى اسْقنى كاسها[٨٨]

ويقول النابلسى:

شرف الهوى أنا راهب فى ديره
وأنا الذى عندى مطالع خيره
والحب عنّى حيثُ جدّ بيره

لم أبْكِهِ لكن برؤية غَيْره طهّرت أجْفانى بفيْض دموعى[٨٩]

---

(٨٤) ديوان الحقائق ج ٢ ص ١٥٢.

(٨٥) قاموس الأناشيد ص ٤٧٠/ ٤٧١.

(٨٦) ديوان الحقائق ج ٢ ص ١٨٦.

(٨٧) قاموس الأناشيد ص ٤٨٩.

(٨٨) رشفات المدام ص ٤٠٣.

(٨٩) ديوان الحقائق ج ١ ص ٣١٧.

ويقول آخر:

وسارت بى إلى ديْر النّصارَى فشاهدتُ الرجال بها سكارَى
بغير الخمر بل من فرط حب[٩٠]

ويقول النابلسى:

ديرُ سمعان نشأتى درت فيه أبتغى كأسَ خمرة العنْقود[٩١]

ويقول الشيخ قريب الله:

أمَّ ذو التهليل * ديرها فى اللّيْل * سائرًا كالسيل * يطلب الأرباح [٩٢]

ويقول غيره:

من لى سواك أُحبّهُ أو أعْشق ولك الملاحة والجمال المطلق
ولكل حُسْنٍ أنتَ روح وجوده وعليه من معنى بهائك رونق
ما القد ما الطرف الكحيل وما اللّمى لولاك تُشْهَد فى حلاه وتُرمَق
وجميع ما فى الكون منْ مستْحسَن فإليْك نسبتُه وباسْمك ينطق
رقت حواشى الحُسْن فيكَ فأهْلُه قَتْلى هواك وكلهم لك يعشق
من مات فى دير الهوى بك صَبْوةً نال الشّهادة وهو حىٌّ يُرْزَقُ[٩٣]

ويقول غيره:

يرى عند ديْر الحب بين أحِبَّة ويرشف كأس النور من دون خمرة[٩٤]

ويقول الشيخ نجم الدين بن إسرائيل:

روِّح فؤادى بذكر النازح الدانى فذكرُه لم يزلْ روحى وريْحانى

(٩٠) قاموس الأناشيد ص ٤٢٩.
(٩١) ديوان الحقائق ج ٢ ص ٢٤٣.
(٩٢) رشفات المدام ص ٨٤.
(٩٣) مشارق أنوار القلوب ص ٥٧.
(٩٤) قاموس الأناشيد ص ٣٦٨.

واصرفْ همومى بصرْفٍ من مدامته فـدنّها مـن جـناب الـعـز أدْ نانـى
واحطط رِحالى ببـابِ الدّيْر ملتمـًا راحًا فقيُّوم ذاك الـديْر لى دانى[٩٥]

ويقول الشيخ عبد الغنى النابلسى:

قـام شمـاس ديْرهـا يـتمـشّى وعـلـيْه مـن نورهـا أثْواب[٩٦]

ويقول أيضًا:

هـبْ لـراعـى الـديْر يـفـتـحْ نـوره الـشّعْشـاع بـاهـى[٩٧]

ويقول أيضًا:

عُجْنا عـلى ديْرهـا والليـلُ معْتـكرُ حتى زجرْنا لدَى حانـاتها العِيسا[٩٨]

ويقول أيضًا:

إن لله فـى الـغـيـوب قـلـوبًا أثْمـرت حـبَّه بطـيـب غـراس
دخلـت ديْر عشْقه فـاستـقلّت لا إلى راهـبٍ ولا شمّاس[٩٩]

ويقول أيضًا:

دخل الـقلـب ديْر عشـق سُلَيْمَى يحـتسـى من لقـائها الا سـفنـطا
فـرأى ثَمَّ نـسـوةً طـالـعـاتٍ من بحار الجمال يسكنَّ شَطَّا[١٠٠]

ويقول سيدى الشيخ قريب الله:

بحـقِّك وجِّهْنى إلى ساحـة الدّيْر وحثّ لها مِنِّى المطـية بالسَّيْر[١٠١]

(٩٥) ديوان الحقائق ج ٢ ص ١٥٢.
(٩٦) ديوان الحقائق ج ١ ص ٣٥.
(٩٧) ديوان الحقائق ج ١ ص ٣٩.
(٩٨) ديوان الحقائق ج ١ ص ٢٦١.
(٩٩) ديوان الحقائق ج ١ ص ٢٦٩.
(١٠٠) ديوان الحقائق ج ١ ص ٨٨٨.
(١٠١) رشفات المدام ص ١٩٦.

ويقول أبو الحسن الششترى تلميذ عبد الحق بن سبعين:

تـأدب بـبـاب الـديْر واخـلـعْ بـه نـعْلا وسلِّم على الرهْبـان واحفظ بهم رحْلا[١٠٢]

٥ ـ البِيعَة:

البِيعَة: لفـظ مفرد، جمـعه بِيَعٌ وبيعـات، ومعنـاها فى الأصْل المعْبـد الخاص بالنّصارى واليهود ـ وهى تقابل عند المـسلمين مفهوم المـسجد الجامع. . علمًا بأنّه كما يتخذ المسلمون من مساجدهم أمـاكن مفضّلةً لتلاوة كلام الله، فكذلك يفعل النّصارى واليهود، ممنْ ورد عـنْ عُبّادهم قوله تعالى: ﴿ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ﴾. [سورة الفتح : من الآية ٢٩].

وفق هذا المعنى القرآنى يقول ابن الفارض فى التائية الكبرى:

وإن نار بـالتـنزيـل محـراب مَـسْجدٍ فمـا بار بالإنجيـل هيكـل بِيعَة[١٠٣]

والمعنى الرمزى للبيت فى إطار ما سـبقه وأعقبه من بـيوت: أنّ الهُدَى هدى الله، والتوفيق توفيقه، وأنّه كما أنار المـسلمون قلوبهم بالذكر والتلاوة، فكذلك فَعل من سبقوهم من أهْل الإنجيل، إذْ عُنوا بقلـوبهم وطهّروها، فنجوا بما فعلوا من الهلاك، وابتعدوا عن غضب الله وسخطه:

ويقول ابن عربى:

فـأرقـبُ أفْلاكًا وأخـدمُ بِيـعَةً وأحرسُ روضًا بالربيع مـنمنما[١٠٤]

---

(١٠٢) رد المفترى عن الطعن فى الششترى ـ ورقة ٤٢ من المجموع لعـبد الغنى النابلسى ـ مخطوط بالظاهرية بدمشق.

(١٠٣) قاموس الأناشيد ص ١٠٤.

(١٠٤) ذخائر الأعلاق ص ٥٢، وفيه أن البيعة هى المعابد السريانية العيـسوية من مقام الكلمة والروح.

٦ ـ الهيكل:

الهيْكل: مفرد وجمعه هياكل، والمعنى فى الأصل موْضع فى صدْر الكنيسة يُقَرَّبُ فيه القربان، غير أنّ الصّوفية ـ وقد اسْتعملوه ـ عَنوا به أمرًا رمزيًّا يشير إلى امْتزاج أنْوار الظرف بالمظروف، أو القلْبِ بالعبادة.

وقد ورد عن ذلك مايلى:

يقول الشيخ عبد الغنى النابلسى، وهو يخمس أبْيات الشيخ نجم الدين بن إسرائيل:

شمس المعانى بأفْلاك العلى بهرت
وقصةُ العشْق فى أهْل الهوى اشتهرت
والحسن أحْكامه بين الورى قهرت
ولى بهيكله محجوبة ظهرتْ من بعْدما خفيت عنِّى بجسمانى[١٠٥]

وقد يعنون بالهيكل الجسد، وعنه يقول السهروردى:

خلعت هياكلها بجرعاء الحمى وصبت لمغناها القديم تشوُّفا[١٠٦]

ويقول غيره:

ولَمَّا إلى أنْوارها قد توجّهوا بداهيْكل من مزجها برقيقة[١٠٧]

٧ ـ الكنيسة والصَّوْمَعَة:

سبق أن تحدثت عن أصل لفظ الكنيسة ومفهومها، وذكرت طرفًا من تاريخها[١٠٨]، وأضيف هنا أنّه لمّا كانت الكنيسة فى بداية مسيرتها مكانًا

(١٠٥) ديوان الحقائق ج ٢ ص ١٥٢/ ١٥٣.
(١٠٦) السهروردى: لسامى الكيال ص ٩٤.
(١٠٧) قاموس الأناشيد ص ٣٥٦.
(١٠٨) راجع ما تقدم عند الحديث عن الكنيسة فى شعر الغواة.

للعبادة، تخلّى فيه أصحابه عمَّا سوى الله، وآثروه هو على كل ما عداه، فقد استعمل الصوفيةُ نفس اللفظ ليرمزوا به إلى أصل الهدف فقالوا:

ووافوا إليها عند بَيْتٍ عن السِّوى نخلَّى فَيُدْعَى عندهم بكنيسة[١٠٩]

هذا والصوفية حين يذْكرون لفظ الكنيسة أو الصومعة وما فيهما من عُبَّاد ورهبان، وما يقوم به هؤلاء وأولئك من عكوف على ما يرضى الله مع التزام بالوحى والشريعة وصفاء الباطن ـ إنّهم حين يفْعلون ذلك إنّما يرمزون بما ذكروا إلى التزام العابد لعبادته، وارتباط قلبه بكل ما يجمعه بأهْل دينه، ليتنافس الجميع فى محبة الله ورضوانه، والتذلل لربوبيته. . وهذا هو معنى قول النابلسى:

نأتى الكنائس والرهبان قد عكفوا لدى الصوامع يدعون النواميسا[١١٠]

٨ ـ المنازل:

المنزل لفظ مفرد، جَمْعُهُ منازل، ومعناه فى الأصل الدار والمنْهل، أو مكان النزول. . علْمًا بأنّ الصُّوفية استعملوا ذات اللفظ فى عدة معان رمزية، منْها الحضرة الإلهية والقلْب، وعنوا بالمنازل كذلك المقامات التى ينزلهاً العارفون بالله فى سيرهم إلى مالا يتناهى من علْمهم بمعبودهم[١١١].

وقد ورد عنهم فى ذلك ما تمثّله النماذج الآتية:

عرجوابى على منازل سلْمى علّ أنْ أشتفى برشف لماها
كم أورِّى بذكر سلمى وقلبى ليس يصبو لغيْر مَنْ أهواها[١١٢]

ويقول آخر:

وجْدى على تلك المنازل باقى زادت إلى سكّانها أشواقى[١١٣]

---

(١٠٩) قاموس الأناشيد ص ٣٥٦.

(١١٠) ديوان الحقائق ج ١ ص ٢٦١. هذا والنواميس مفْردها: ناموس، وهو صاحب السِّر، المطّلع على باطن الأمر، يقال: فلان ناموس الأمير، أى صاحب سِرِّه؛ ومعنى الناموس أيضًا: بيت الراهب، ويشار بالكلمة إلى الوحى والشريعة ـ راجع المنجد.

(١١١) ذخائر الأعلاق ص ٨٨.

(١١٢) قاموس الأناشيد ص ١٦٧.

(١١٣) قاموس الأناشيد ص ٤٢٤.

ويقول غيره:

من فـاته مـنك وقـت حظّه الـنّدم ... ومن تـكن همـه تسْمـو به الهـمم
ونـاظر فـى سوى رؤيـاك حقّ لـه ... يُفيـض من جفنـه بالدمـع وهو دم
فـمـا المـنـازل لـولا أنْ تحـلّ بـهـا ... وما الدِّيار وما الأطلال والخيم[١١٤]

ويقول غيره:

وسـرت إلـى الحـجاز بـكـل جـدٍّ ... وقـد دنـت المـنـازلُ بَعْد بُعْد
وصـار الـوَصْل سـهْلا بـعـد كـدٍّ ... فقـلتُ مـن الغـرام وفرط وجـدى
بوصـلك يـا حجـاز يزول كـربى[١١٥]

ويقول غيره :

يـا سـائـقًا غنِّ الـنيـاق وزَمـزِمَا ... أبْشر فـقد جـئتَ المـقامَ وزمـزما
كـم كنـتَ تذكـرنـا منـازل مكـة ... وتقول إنَّ بـها المنى والمـغْنمَا[١١٦]

ويقول غيره :

عـنـدمـا شـدّوا المحـامـل ... وتـنـادوْا لـلـرحـيـل
جـئـتُهـم والدمـعُ سـائـل ... قـلـتُ قِفْ لى يـا دلـيـل
وتحـمّل لـى رسـائـل ... أيـهـا الـشِـوْق الجـزيـل
نـحْوهـا تـيـك المـنـازل ... فى الـعشـى والبـكور[١١٧]

ويقول ابن عربى :

قـربـت منـازلـهـم ولاحت نـارهـم ... نارًا قَدَ اشْعَلَت الـهوى إِشْعـالا[١١٨]

---

(١١٤) قاموس الأناشيد ص ٤٢٧ .
(١١٥) قاموس الأناشيد ص ٤٣٠ .
(١١٦) قاموس الأناشيد ص ٥١٢ .
(١١٧) قاموس الأناشيد ص ٢١٣ .
(١١٨) ذخائر الأعلاق ص ٩٣ .

ويقول:

ما نَزَلوا من منزل إلاّ حَوَى ... من الحسان روْضةً طاووسا
ولا نأوْا عن منزلٍ إلاّ حَوَى ... من عاشقيهم أرضه ناووسا(١١٩)

ويقول:

إلْمَمْ بمنْزِلِ أحبابٍ لهم ذمِمٌ ... سحَّت عليْهم سحاب صوبها دِيَمُ(١٢٠)

٩ ـ الدار:

الدار مؤنثة وقد تذكّر(١٢١)، وجمعها دور، وديار، وأدْوُر، وأدْورة وديارة، وأدوار، ودورات، وديارات، ودوران، وديران، وهى فى الأصل المحل والمسكن، وقد تطلق على البلد، وعلى القبيلة، وعلى غير ذلك.. علْمًا بأنّ الصوفية كانوا غالبًا ما يستعملون ذات اللفظ مع ماله من جموع فى معانٍ رمزية تفيد المقام أو الجسد أو الموطن.. وبمعناها ورد ما يأتى:

يقول النابلسى:

تبارك الله ما فى الدار ديّار(١٢٢) ... وإنما هى نيران وأنْوار
وقد أماطَتْ سليْمى عن براقعها ... فوجْهها مُشْرقٌ والطَّرْفُ سحّار(١٢٣)

ويقول السهروردى:

خلعت هياكلها بجرعاء الحمى ... وصبت لمغناها القديم تَشَوُّقَا

(١١٩) ذخائر الأعلاق ص ٩٨. والروضة الطاووس: التى فيها كل ضَرْب من النبت أو الورد. وجمع طاووس: طَوَاوِس وأطْواس.. والناووس: صندوق من خشب يضع النصارى فيه جثة الميت، ويطلق أيضًا على مقبرة النصارى. وجمعه: نواويس.

(١٢٠) ذخائر الأعلاق ٢٥٩.

(١٢١) ذخائر الأعلاق ١٣٦.

(١٢٢) الديّار صاحب الدير أو ساكنه.

(١٢٣) ديوان الحقائق ج ١ ص ٢١٢.

وتلفتت نحو الدِّيار فشاقها رَبْعٌ عفتْ أطلاله فتمزّقا
وقفَتْ تُسائله فردّ جوابَها رجع الصّدى أن لاسبيل إلى اللِّقا
فكأنّما برْق تألّقَ بالحِمَى ثم انْطَوى فكأنّه ما أبرقا[١٢٤]

والمعنى أن النفس تخلت عن جسدها فى الدار الفانية، واشتاقت لمقامها الأول، فلما فارقته التفتت إليه، فرأته أثرًا بعْد عيْن، وعندما سألته عَمَّا آل إليه أمْره بعد فراقها له أجابها رجْع الصّدى بأن لاسبيل إلى اللقاء، وأنّ ما كان من لقاء بيْنهما سابقًا يُشْبه فيما يشبه تألّق البرق ولمعانه وزواله فى دار الفنا.

ويقول آخر:

ولما تلاقيْنا عشاءً وضَمّنا سواء سَبيلَىْ دارها وخيامى
ومِلْنا كذا شيئًا عن الحىِّ حيث لا رقيب ولاَ واش بزور كلام
فرشت لها خدى وطاءً على الثرى فقالتْ لك البُشْرَى بلثْم لثامى [١٢٥]

ويقول ابن عربى:

قفْ بالديار وناجها متعجِّبًا منها بحسن تلطف بتفجع [١٢٦]

١٠ ـ البساتين والرِّياض والحدائق:

ذكر الصّوفية الرياض والبساتين بمعانٍ رمزية فى أشْعارهم عنوْا بها المقام الجامع وغيره[١٢٧]، وكان مما ورد عنهم فى ذلك ما يأتى:

يقول النّابلسى:

روْضة زهرتها فائحة فانتشق نفحتها وَانْصَلح
وتنصَّت لغنى بُلبُلها وعلى المطْرب لا تقْترح[١٢٨]

(١٢٤) السهروردى لسامى الكيال ـ طبع بيروت سنة ١٩٥٥ ص ٩٤.
(١٢٥) قاموس الأناشيد ص ١٥٤.
(١٢٦) ذخائر الأعلاق ص ١٣٧.
(١٢٧) ذخائر الأعلاق ص ٤٣/ ٤٩/ ٢٥٤.
(١٢٨) ديوان الحقائق ج ١ ص ١٢٠. هذا والقصيدة المشار إليها تضم ٢٤ بيتًا كان منها: =

والمعنى الرمزى لما تقدّم، هو أنّ الشاعر ينْصح العابد بأن يترك مادون الله من كرسى وعرش وجنّة ونار، ويُقْبل بإخْلاص على رياض حضرته لِيَسْتَنْشق من عبيرها الفوّاح ما يجعله أهْلاً لاسْتماع الكلام الإلهى، والإرشاد الربّانى الذى ينعش الروح ويحرك الوجدان، ويهيج ماكمن من مشاعر الطرب والبهجة والسرور والفرح. . عِلْمًا بأنَّ الأدب مع المعبود يقتضى من العابد أن يسقط مراده وهواه وتدبيره.

ويقول نفس الشاعر أيضًا:

لحرب نفوسنا قد جاء فارس وَقَدْ فُتنت به روم وفارس
وفى روض القلوب له ثمار بأشجار المحبّة وهو غارس
تحجّب فالعقول عليه ضلّت ولا يدريه إلاّ مَنْ يمارس (١٢٩)

والمعنى الرمزى لما تقدم، هو أن المولى الذى اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأنّ لهم الجنة عبْر الجهادين الأَصْغر والأكبر ـ غرس محبته المثْمرة فى رياض قلوب جميع عباده، فاهْتدى إليه مَنْ عرفه، وضلّ عنه من حجبه الله به عنه.

ويقول النابلسى وهو يتحدث عن محبته لله وذكره له ومشاهدته إيّاه ـ يقول: إنّه وقد خلق أثرًا من آثار الله، وثمرة من ثمار مخلوقاته ـ لايملك غير أن يلتزم بأوامر المولى ونواهيه؛ وهو حين شغف بجمال الله وهام بوجده لم يسعه إلا أنْ يعرض عن عذل العذّال ممن طالبوه بالسلوِّ عنه، لعلمه باستحالة أنْ يُضْمِرَ سُلُوًّا لحبيبٍ أصبحَ قلبُه له مسْكنًا:

ساكن فى القلْب يعمُرُه لستُ أنْساه فأذكُره
حاضر عندى أشاهدُه وسويْداء القلب تبْصره

= واترك الكرسى والعرش وما تحته للغىّ أو للفلح
واهجر الجنة والنار ولا تَفْتَتِنْ عن ذاته بالشبح

(١٢٩) ديوان الحقائق ج ١ ص ٢٦٤.

إنـــنى فـــى رَوْضـــه ثمـــر
منتـــــه فيـــــه ومؤتمـــــر
ثـــم لمـــا عَزَّنـــى القمـــر

قـلـت للـعـذّال مُذّ أمـروا بســـلو عـــزّ أيْمـــره
مالكـى فى القلب مـــكنه فسُلـوِّى أين أضـمره(١٣٠)

ويقول النابلسى أيضًا:

غيـب من الـغيب يـسـتـبين بـنا ونحنُ فى روْضـه شحاريره(١٣١)
تـبـارك الله عـلمـًا ســجـعـت بـروض ازهـــاره عـصـافـيـره

والمعنى أنّ مجرد وجودنا فى رياض مملكته إنْ دلّ على شىء فإنما يدل على أننا أثر جمـالى من آثار وجـوده الغيْبى، عـلْمًا بأنّ إدراك ذلك مِنَّا أمر واضـح جلىّ يتغنى به كل أحد.

ويقول نفس الشاعر:

بـدت الحقيقة من خـلال سـتـورهـا واسْتأنَسَتْ من بـعـد طـول نفورِهَا
وتبسّمتْ فـى وجه عـاشـقـها الـذى قـد هـام منْـها فـى بياض ثـغـورها
وتلبـَّت للـطـارقـيـن على الـهـوى بسـواد مـقـلـتـهـا وبيض شعـورهـا
فـأقـم قـوامك وانـتـظر وانـظر ولا تشغل زمـانـك بالجـنـان وحـورهـا
واخـلعْ لها ثـوب الفـنـاهى بـالفـنـا واقبل على المرفـوع مـن مكسورها
لا، بل نعم، بل كيف، بل كم، هذه هـى روضـة قـد عطـرت بـزهـورهـا
وشـدت على عـيـدانـهـا أطـيـارهـا فاسمع مـعـى منـها غـنـاء طـيـورهـا
وانظـر لـبـلـبـلـها يـغـرِّد مُـطـربـا فى دَوْح هـذا الكوبِ مع شحـرورها (١٣٢)

(١٣٠) ديوان الحقائق ج ١ ص ٢٥٠/ ٢٥١.
(١٣١) ديوان الحقائق ج ١ ص ٢٥٢.
(١٣٢) ديوان الحقـائق ج ١ ص ٢٥٤. هذا والشحرور جـمعه شحاريـر، ويقال له أيضًا الشّحْور، وهـو طائر أسود أكبر من العصفور حسن الصوت، من فصيلة الشحْروريات، منقاره أصفر طويل (راجع المنجد مادة شحر رقم ١).

والمعنى الرمزى لما تقدّم، هو أن النابلسى وقد بدتْ له الحقيقة من خلال ستورها، وتبسّمت فى وجهه، وتلبست بسواد مُقلتها، وضياء مطْلعها للطارقين لها من أمثاله من العشّاق ـ لما بدَتْ له بالصُّورة التى ذكرناها حار بَيْن أنْ يُعبِّر عنها باعتبارها أثرًا، أمْ باعتبارها مؤثِّرًا، ومن ثَمَّ كنت تراه إذا ما نظر إليها من حيث الحقيقة الوجودية لها نفى أن تكون أثرًا، وإذا ما نظر إليها من حيث المجاز أثْبت لها الوجود، على أنّه وقد استْحال على الشاعر معرفة كنه كيفية الوجود وكميته آثَر أن يتفكر فى مخلوقات الله، فشبهها بالرِّياض النّضرة التى تلذّ الحواس من منظرها، وتبتهج النفوس من طيب روائح زهورها، وتَعْشَقُ الأفئدة تغريدها المطرب بالتسبيح والذكر ـ على روح هذا الكون.

ويقول سيدى النابلسى:

نَفَحتْ ريْحَانةُ الأسْرار من روض اللقا فسكرْنا بشميم الطِّيب من ذاك الهبوب (١٣٣)

والمعنى الرمزى للبيت المذكور يفيد أنّ العارف بعد أن نفحه الله بريحْانة أسْراره، وقبل منه توجّهه غابَ بالله عَمَّا سواه، وسكر وانْتشَى، لاَ باللقاء فقط، بل بكل حركة تذكِّره بذلك اللقاء، وتُعيد إليه نَفْحة طيبه.

ويقول سيدى النابلسى وهو يسوِّى بين مفهوم الحان والحضرة، ويغيب عن الأثر برؤية المؤثر، ويجرِّد من ذاته ما يجعلُها تارةً فى صورة الكعبة التى يطوف عليها بكأس الحب، وأخرى بصورة المكان الذى يستمع فيه للألحان، نافخًا من نفسه لنفسه مزمار محبته، مصْغيًا لا ستجابة روحه لنداء خالقه، راقصًا كالقيْنة طربًا بما يسمع، مُنْتشقًا من حقيقة الجمال الإلهى البادى فى صور المخلوقات مايجعله يهيم بمايراه من جمال يعكسه مجرد وجوده هو وأمثاله فى الحياة:

يقول:

أطوف على ذاتى بكاسات خمرتى وأستمع الألحان فى حان حضْرتى
وأنفخُ مزمارى وأصْغى لصوْتِه وأَضْرب دُفِّى حين ترقص قيْنتى

(١٣٣) ديوان الحقائق ج ١ ص ٤٧.

وأنشق من روضى نسيم حقائقى ويسرح طرْفى فى حدائق نشأتى [١٣٤]

يشير النابلسى فى قصيدة له عن الذات الإلهية بما يفيد إعجاب كل عارف بأفعال الله وتنعُّمه بلقائه، وسعادته باجتماع همِّه عليه، واصفًا جمال المقْصد الإلهى بالروْضة الحسِّية، داعيًا المولى أنْ يُديم علاقته به:

سقى الله روضات المقاصد واللقاء من الكل حيْثُ الكلَّ منها رأَوْ حُسنا [١٣٥]

وجاء عن النابلسى فى موشّح رائع له ما يفيد بأنّه وقد عرف الله، فَقَدْ أصبحت حياته تُشبه فى جمال جمالها الرياض الزاهية بالأزاهير ذات النسمات اللطيفة، والعَرْف الباهى:

روْضى زاهى بأزاهير التجلِّى
عرفى باهى بلطيف النسمات[١٣٦]

ويدعو النّابلسى سامعَه فى قصيدة له أخْرى إلى أن يتفكّر ويتأمّل إلى آثار ماصنع الله، يجد الروض فيه يفوح عِطْرًا، والمياه تنساب كسبائك الذّهب، والنبات والأزاهير آياتٌ شاهدة على عظمة المولى ووحدانيته.

يقول:

تأمّل فى خلال الأرْض وانظر إلى آثار ما صنع المليك
فإنَّ الروض فيه فائحات
نوافج نرجس مستعطرات
إذا شبهتها قل نابتات

عُيون منْ لجيْن شاخصات بأحداق هى الذهب السبيك
وكم لله فى الدنيا نبات
بآيته لوحدته ثبات

(١٣٤) ديوان الحقائق ج ١ ص ٧٨.
(١٣٥) ديوان الحقائق ج ٢ ص ١٢٠.
(١٣٦) ديوان الحقائق ج ١ ص ٩٣.

وأزهـار تـلـوح مـلـوّنـات

على قضب الـزبرجد شاهدات بأنّ الله لـيْس له شـريك[١٣٧]

ويقول النّابلسى أيضًا:

ياريـاض الجـنـان مـن حـان قـربى عـطّرينـا بالطِّيـب مـن نفـحـاتـك

وانْشرى مـا انْطوى مـن الـذكر عنّا وامْنـحـينـا اللـذيـد مـن ثمراتـك

إنَّـنـا عـنـك ظـاهـرون بـلطْف منك فى أرْضـك اقـتـضا نـيـاتـك

لم نجـد كثـرة الـوسـائـط جـمًا تمـنـع الـروحَ ربَّنـا مـنْ هـبـاتـك

فـالـذى مـنـك قـد دَنَـا فـتـدلّى لم ينقصـه كـونـه ابن العواتك [١٣٨]

والمعنى الرمزى لما تقدم يـفيد أنّ الشاعر وقد نصح العابد قـبْلاً بمحبة الله يعود فيخاطب رياض المحبّة الإلـهية، والقرب الربّانى بأنْ تُعطّره بنفحـات منها طيبات، وتنشر عليه من المعارف ما كان مطويًّـا عنه، وتمنحه اللذيذ من ثمرات المحبة.

ذلك أنَّ جميـع المخلوقات عند الشاعـر إنما ظهرت فى هذا الكون بـلطف من الله اقتضته إرادته، وهى على كثْرتها وتنوعها لا تحجب رؤية المؤثر فيها؛ ألا ترى أن رسول الله ﷺ مع ارتبـاطه بالعواتك من قـريش، وهى رابطة جـــدية حسِّية بشريـة تَخَطَّى الوسائط التى تـربطه بالخَلْق، فدنَا مـن الخالق حتى كان مـنه قاب قوسين أو أدنى.

ويقول نفس الشاعر أيضًا :

قـد هديـنـا بـالخاطـر المـستقيـم لحـديـث عـن الحـبـيـب قـديم

ووجـدْنـا مـعـارفًا وعـلـومًا كـان فيـهـا المـزاج مـن تـسنيـم

فـشـمـمْنـا بـهـا روائـح غـيْب وسـكرْنـا بـطيـب ذاك الـشـميـم

كـريـاضٍ زهـورهـا فـائـحـات لذوى الشم مع هبـوب النسيم[١٣٩]

(١٣٧) ديوان الحقائق ج ٢ ص ٢، هذا والنوافج جمع نافجة وهى وعاء المسك [راجع المنجد].

(١٣٨) ديوان الحقائق ج ٢ ص ٨.

(١٣٩) ديوان الحقائق ج ٢ ص ٨٢/ ٨٣.

والمعنى الرمزى لما تقدم يُفيد بأنّ فطرة الإنسان التى أشار إليها الرسول ﷺ فى بعض أحاديثه ـ هى التى هدت العباد إلى الصِّراط المستقيم، حيث المعارف والعلوم المفاضة على الإنسان من لدن الإله، وحيث الروائح الغيبية التى يسكر الفردَ شميمهُا، كما كان يسكره شميم نظائرها من الروائح الفائحات من زهور الرياض إذا ما هبّ عليها النسيم.

ويقول:

تعودت أغياره أمة لا تعرف اليقظة والانتباه
روْض جرت أسماؤه جدْولا منْه وأنواع البرايا مياه (١٤٠)

والمعنى الرمزى فى إطار السِّياق العام للقصيدة يُفيد أنّ البعض غفلوا عن رؤية الله، وتعوّدوا رؤية غيره من مخلوقاته، مع علْمهم بأنّ الغير لا يعدو أن يكون مياهًا كوَّنتها جداول كان مصدرها روْض هو ذات الإله البارئ.

ويقول النابلسى فى تخميسه لبعض أبيات الشيخ أبى أيوب:

كم روْض أنْس بكم شقّتْ كمائمه
فهيجت بشذا الذكرى نَسَائمه
وغصن نشأة كونى كم أداومه
ويعترينى إذا ناحت حمائمه وجْدٌ يذوب الحَشَا من ذكر أهْليه (١٤١)

والمعنى الرمزى لما تقدّم، يُفيد أنّ الشاعر وقد اشتد به الحنين إلى لقاء الله ـ صارتْ نسائم الرياض تهيجُه، والتأمل الدائم فى نشأته هو يؤرقه، ونوح الحمائم يحرِّك وَجْدَه، ويذيب أحشاءه.

إنه يبغى الله ـ مع علمه بأنّ الله وإن كان مغيبًا عنه هو حاضر معه بآثاره.. إنّ إدْراك الله لايتأتَى إلاّ لمن اصطفاهم من خَلْقِه، وقربهم إليه من عباده، فهؤلاء

(١٤٠) ديوان الحقائق ج ٢ ص ٢٠٢.
(١٤١) ديوان الحقائق ج ٢ ص ٢٠٨.

لاغيرهم هـم الذين ينْفُذُون ببصـيرتهم إلى مالا ينـفذ إليه سواهم، ويـنالون من المعرفة الغيبية بعد استعمال وسائلها ـ مالا يناله أحدُ مخالفيهم.

إنهم يرون الله ببصائرهم عبر ما يشاهدونه بأبْصارهم من مخلوقاته، فالروْضة الغنّاء التى اغتنت بحسنها عن الـكل، وسهل تناول ثمارها على الجانى، إنْ دلّت على شىء فإنما تدل على مَنْ وهبها الجمال، وأضْفَى عليها الحسن والزينة، وجنّة الفردوس إذا ما اتخذ الفـرد القلبَ لا النفس الشهوانية لهـا بابًا ومدخلا، أمكنه أن ينفذ عبرها للتنعّم بجمال مُنشئها، وإبداع خالقها.

بدت نار لـيـلى والـظلام يُنـيـرهـا ... من الكون حتّى زال عندى لها العشو
وما كل ذى قـلـب يـنـال مَـنَـالَـنا ... من الغيْب لكـنْ كـل بـئـر لـه دلْـو
هـى الروْضة الـغـنّـاء أغْنت بحـسنها ... عن الكلِّ فيها عـرعـر العيْر والسَّرْو
وأغْصَانها مـنْـهـا تَـدلّـت كـرامةً ... علينْـنـا وقـد طـاب التـنـاول والعطو
هـى الجـنـة الفـردوس والقلب بابها ... ومن جاء ها من نفسه صده العمو (١٤٢)

ويقول آخر:

يـا حـضـرة أحـديـة صـمـدية ... أفَـلـت حـواس الـذاكـريـن قـرارا
فـى روْضـةٍ رقصـت لـنـا أغْصانـها ... طـربًـا وأجـرى حـسْنُها أنـهـارا (١٤٣)

والمعنـى الرمزى لما تـقدم، يفيـد أنّ الشاعر وقـد أفاض قَبْلاً فى مدح شـيخه (يوسف بن على) رأى أن يلـتفت إلى مخاطبته حضرة المولـى الأحدية الصمدية التى أفلت حـواس الذاكرين من أجلها خاصـة حين بدالهم جمال محبـوبهم عبر آثاره من رياض محبـة طرب لمعارفها العبّاد، ووسائل حـياة سرت فى نفوس أهْل الله، فتحـقق فيهـم قوله تعـالى: ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾(١٤٤).

---

(١٤٢) ديوان الحقائق ج ٢ ص ٢١٨.
(١٤٣) قاموس الأناشيد ص ١٧/ ١٨.
(١٤٤) سورة المؤمنون ـ الآية ١٤.

ويقول غيره:

الـزهـر فـى الـروْض قـد تكلّـل ... وكـوْكـب الصّبْـح قـد تـهـلّل
والـوردْ بـالـعـجـب جـرّ ذيْـلا ... والآسُ بـالـطـلّ قـد تـبـلّـل
والـنـرجـس الغـضّ لاح يـزْهـو ... بـطـرْفـه الـنـاعـس المـذبّـل
وقـام ريـحـانـهـا خـطـيـبًـا ... عـلـيـه ثـوب الجـمـال مُـسْـبـل
وبـسـط الـيـاسـمـين كَفًّـا ... كـأنـه للـدعـاء يـسـأل
وإذْ عـلا فـوقـهـن طـيـر ... قـد صـاح مـن شـوْقـه وهـلّل
وكـل غـصـن غـدا رطـيـبـا ... عـلـى ضـيـاء الـنّـهـار يـسـأل
وجـيـش جـنـح الـظـلام ولّـى ... وجـيـش ضـوء الـنّـهـار أقـبـل
يـا صـاح جـدِّد لـنـا سـرورا ... فـلـيْـس وقـت الـسـرور يـمـهـل
وليـس وقـت الـسـرور يـتـرك ... أمـا تـرى الصفـو قـد تكـمّل
وهـا خـتـامـى بمـدح طـه ... نبـيـنـا المـصْـطفى المـكـمّـل (١٤٥)

والمعنى الرمزى لما تقدم يُفيد أنّ جمال الأثَر المتمثِّل فى الزهور والورود والنرجس والريحان والياسمين، وما يعلو ذلك من طلٍّ، ويغرِّد فوق الأغصان من طيور، ويَسُود البيئة من ضياء ـ إنْ دلّ على شيءٍ فإنما يدلّ على إثارة بواعث البهْجة والسرور بخالق كُلِّ أنْواع الجمال الذى سنامه إرْسال سيِّدنا محمد ﷺ للأمّة هاديًا يهدى به الله من اتّبع رضوانه سُبُل السلام.

ويقول الشيخ قريب الله:

ريـاضـك يـا نـعـاث مـن شـهـود ... شهودك مـن تـفـرّد بـالبـقـاء (١٤٦)

---

(١٤٥) قاموس الأناشيد ص ٣١.

(١٤٦) رشفات المدام ص ١٧.

ويقول:

ويعبق من رياض القرب عطر بنشْقته سينْهضُ كلُّ ناء [١٤٧]

١١ ـ القباب:

وردت القباب فى شعر الصوفية بمعانٍ رمزيةٍ، تعنى فيما تعنيه ظلّ الكسب[١٤٨] الذى يقوم به الفرد فى هذه الحياة، أخْذًا من قوله تعالى: ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾[١٤٩]. . علْمًا بأنّ اختيارهم للفظ (القباب) سببه أن الشكل الكرِّى أفضل الأشكال، وأول الأشكال، بل إنه ليس له أول ولا آخر إلاَّ بحكم العرض فيه[١٥٠].

هذا وقد جاء عن القباب فى أشعار الصوفية ما تمثله النماذج المذكورة أدناه:

يقول ابن عربى :

وناد القباب الحمر من جانب الحمى تحيّة مشتاقٍ إليْكم متيّم [١٥١]

والمعنى المراد هو أنّ الشاعر يقول لشوقه، إذا سلّمت ونظرتَ إلى اختلاف ألوان القباب فلا تناد منها إلاَّ القباب الحمْر، فإنها محل الجمال والمخصوصة بالعرائس المخدّرات، يكنى بذلك عن الأحبة، أو الحقيقة الإلهية ذات الحمى الأعز المنال.

ويقول :

نصبوا القباب الحمر بين جداول مثل الأساود بينهن قعود [١٥٢]

---

(١٤٧) رشفات المدام ص ١٧ .

(١٤٨) ذخائر الأعلاق ص ٩١ .

(١٤٩) سورة البقرة ـ الآية ٢٨٦ .

(١٥٠) ذخائر الأعلاق ص ٢٢ .

(١٥١) ذخائر الأعلاق ص ٢١ .

(١٥٢) ذخائر الأعلاق ص ٤١ .

والمعنى المراد، هو أن الشاعر يشير بما ذكر، إلى الحكم الإلهية، والعلوم اللدنية، التى متعلّقُها الأعمال الموصِّلة إلى هذه الحِكَم، تلك التى حرص أهْل الله عليها حرص الأساوِد أو الحيَّات على طعامها وقُوتها.

ويقول:

قالت: تركت على زرود قبابهم والعيس تشكو من سراها كلالا
قد أسْدلوا فوق القباب مضاربًا يسْترن من حرِّ الهجير جمالا (١٥٣)

والمعنى المراد بما تقدم، هو أنّ الشاعر يُشير بما ذكر إلى أنَّه وقد سأل عن الأحبة ومسار عيهم وهمهم ـ أجيب بأنّهم مازالوا يقيمون فى ظلِّ كَبْهم على حالة تشبه الزرود أو الرمل فى التزلزل وعدم الثبوت، لعجزهم عن إدْراك مالايُدرك، وضبط من لا ينضَبط، وتصور من لا يُتصور؛ بل ولا يحصل فى النفس منه إلا آثاره.. علْمًا بأن من يسألُ عنهم كانوا قد أسدلوا ـ أثناء طلبهم لمحبوبهم ـ ستارًا على أجسادهم مخافة أن تحرقهم سبحات وجه الله، وتَفْنيهم سطوات أنوار جلاله.

١٢ ـ أماكن أخرى:

يكاد يكون من المتعذر إحصاء كلّ ما ورد فى الشِّعر من أماكن، على أنه مهما كان لفظها أو معناها فى الأصل، فإنَّ غالب استعمال الصوفية لها كان فى معان رمزية غايتها الإشارة إلى المحبوب، والهيام به، وإعلان الشوق له، والتغنِّى بآثاره، والتلذّذ بذكْر آلائه، ومصاب رحماته وفيوضاته.

الأماكن بالنسبة للصوفية صفات قدسية علوية، يعبر ذهن العارف بها ظاهرها إلى باطنها، وقالبها إلى أسْرارها، وظلمات شكلها إلى أنوار مدلولها.

إنها الرموز التى ندّت عن العبارة فتلقفتها الإشارة، وسمت عن لغة اللسان فأشرق بها باطن الوجدان، بِخالق تلك الأماكن وبارئها والمؤثّر فيها تعلّق قلبُ

(١٥٣) ذخائر الأعلاق ص ٩١.

العابد، فطفق يُعْلن عن هيامه بمحبوبه فى نماذج متعددة، كان أبرز ما فيها وضوح الرؤيا بالنسبة إلى العابد بين أصْل النفس الذى منه انبعثت وصدرت، وظلمة الطبيعة التى إليها هبطت ووردت:

يقول الشاعر:

ما بين صال المنحنى وظلاله ... ضلّ المتيم واهتدى بضلاله
وبذلك الشعب اليمانى مُنْية ... للصبِّ قد بعدت على آماله
يا صاحبى هذا العقيق فقف به ... متوالهًا إن كنت لستَ بواله
وانظره عنى إنَّ طرفى عاقنى ... إرسالُ دمعى فيه عن إرْساله
واسأل غزال كناسه هل عنده ... علم بقلبى فى هواه وحاله؟ (١٥٤)

ويقول غيره:

هل نار ليْلى بدت ليْلاً بذى سلم ... أم بارق لاح فى الزوراء فالعَلَمِ
أرواحَ نعْمان هَلاَّ نَسْمة سحرًا ... وماء وجْرة هلاّ نَهْلة بفم
يا سائق الظّعْن يَطْوى البيد معْتسفا ... طىّ السِّجل بذات الشيح من إضَم
عجْ بالحِمَى يارعاك الله معتمدًا ... خميلة الضال ذات الرّند والخُزُم
وقف بسلع وسل بالحزع هل مطرت ... بالرّقمتين أُثيْلات بمُنْسجم
ناشدتك الله إنْ جزْت العقيق ضُحًى ... فاقرْ السّلام عليهم غير محتشم
وقل تركتُ صريعًا فى دياركم ... حيًّا كميْتٍ يُعير السّقم للسَّقَم
آهًا لأيّامنا بالخَيْف لو بقيتْ ... عشرًا وواهًا عليها كيفْ لم تدم
عنِّى إليْكم ظباء المنحنى كرما ... عهدت طرفى لم ينظر لغيرهم (١٥٥)

ويقول غيره:

عمّرك الله إنْ مَررْتَ بوادى ... ينبَع فالدهْنا فبدر غادى
وسلكت النقا فاوْدان ودا ... ن إلى رابغ الروى الثماد

(١٥٤) ذخائر الأعلاق ص ٧٨.

(١٥٥) قاموس الأناشيد ص ١٣٣.

وقطعت الحرار عمْدًا لخيما ... ت قُدَيْد مواطن الأمجاد
وتدانيت من خُلَيْص فعُسْفا ... ن فَمَرٍّ الظهران مُلقى البوادى
ووردت الجموم فالقصر فالدكْـ ... ـناء طرًّا مناهل الورّاد
وأتيتَ التَّنْعِيم فالزَّاهرَ الزا ... هر نورًا إلى ذُرَى الأَطْواد
وعبرت الحجون واجتزت فاختر ... ت ازْدياد مشاهد الأوتاد
وبلغت الخيام، فأبْلغ سلامى ... عن حفاظ عريب ذاك النادى
يارعى الله يوْمنا بالمصلّى ... حيث نُدعى إلى سبيل الرشاد
وقباب الركاب بين العُلَيمـ ... ـن سراعًا للمأزمين غوادى
يا أُهَيْلَ الحجاز إنْ حكم الدهْـ ... ـر بيْن قضاء حتم إرادى
فغرامى القديم فيكم غرامى ... ووادى كما عهدتم ودادى
قسمًا بالحطيم والركن والأسْتار ... والمرْوتين مَسْعَى العباد
وظلال الجناب والحجر والميـ ... ـزاب والمستجاب للقُصَّاد
ما شممتُ البشام إلاّ وأهْدى ... لفؤادى تحية من سعاد (١٥٦)

ويقول غيره:

أبرقٌ بدا من جانب الغور لامعُ ... أم ارْتفعتِ عن وجْه ليْلى البراقعُ ؟
أنارُ الغضا ضَاءتْ وسلْمى بذى الغضـ ... ـا أم ابتسمت عمَّا حكته المدْامع ؟
أنشر خزامى فاح أم عَرْف حاجر ... بأَمِّ القرى، أمْ عِطر عزّة ضائع ؟
ألا ليْت شعْرى هل سُلَيْمَى مقيمة ... بوادى الحِمَى حيث المتيمّ والع ؟
وهل لَعْلَع الرعد الهتون بلعْلَع ... وهل جادها صوبٌ من المزن هامع ؟
وهل أرِدَنْ ماء العُذَيْب وحاجر ... جهارًا وسرّ الليل بالصبح شائع ؟
وهل قاعة الوعساء محضرة الربى ... وهل ما مضى فيها من العيش راجع ؟

(١٥٦) قاموس الأناشيد ص ١٣٥/ ١٣٦.

وهل بربى نجد فتُوضح مُنْدٌ ... أهيل النقا عَمَّا حوته الأضالع ؟
وهل بلوى سلع يُسَلْ عن متيّم ... بكاظمة ماذا به الشوق صانع ؟
وهل عذبات الرند يقطف نوْرها ... وهل سلمات بالحجاز أيانع ؟
وهل أثلات الجذع مثمرة، وهل ... عيون عوادى الدهر عنها هواجع ؟
وهل قاصرات الطرف عِينٌ بعالج ... على عهدىَ المعهود أم هو ضائع ؟
وهل ظبيات الرقمتين بعبْدنا ... أقمنا بها أم دون ذلك مانع ؟
وهل فتيات بالغوير يرينني ... مرابع نُعْم نِعم تلك المرابع ؟
وهل ظل ذاك الضال شرقى ضارج ... ظليل فقد روّتْه منى المدامع ؟
وهل عامر من بعدنا شعْب عامر ... وهل هو يومًا للمحبين جامع ؟
وهل أمَّ بيت الله يا أُمَّ مالك ... عُرَيْب لهم عندى جميعًا صنائع ؟
وهل نزل الركب العراقى معرفا ... وهل شرعت نحو الخيام شرائع ؟
وهل رقصت بالمازمين قلائص ... وهل للقباب البيض فيها تدافع ؟
وهل لى بجمع الشمل فى جمع مسعد ... وهل لليالى الخَيْف بالعمر بائع ؟
وهل سلّمت سلمى على الحجر الذى ... به العهد والتفت عليه الأصابع ؟
وهل رضَعت من ثدى زمزم رضْعة ... فلا حرمت يومًا عليها المراضع ؟
لعلَّ أُصيحابى بمكة يبردوا ... بذكر سليمى ما تجنّ الأضالع
وعل اللَّيلات التى قد تصرّمت ... تعود لنا يومًا فيظفر طامع
ويفرح محزون ويحيا متيّم ... ويأنَس مشتاق ويلتذ سامع [157]

١ ـ المياه:

الماء: عند الصوفية هو سرُّ الحياة الذى يُحيى النفوس، ومعدن الحياة الأزلية[158]، وعنه ورد ما يأتى:

---

(١٥٧) قاموس الأناشيد ص ١٥٥/ ١٥٦.

(١٥٨) ذخائر الأعلاق ص ٩٠/ ٢٠٠.

يقول ابن عربى :

ساروا يريدون العذيب ليشْربوا ماءً به مثل الحياة زُلالا [١٥٩]

والمعنى أنّ العارفين بالله ساروا طالبين سرّ الحياة بمقام الصّفاء من عين الجود لتحيا بذلك نفوسهم؛ علمًا بأنّ الشّرب المكنّى به يقع فى المرتبة الثانية من مراتب مقام التجلّى، أما أوّل تلك المراتب فهو الذوق، وثالثها الرى، ورابعها السّكر.

ويقول ابن عربى أيضاً:

يا خليلى ألمَّا بالحِمَى واطلبا نجْدًا وذاك العلما
وردا ماء بخيْمات اللوى واستظلا ضَالها والسّلما [١٦٠]

هذا والشاعر فى هذين البيتين يخاطب عقله وإيمانه يقول لهما: انزلا بالحماية الإلهية عند حجاب العزة الأحْمَى، واطْلبا علومًا وهْبية تضاف إلى ما ستنالانه من معرفة كسبية تمكّنُكما من الجمع بين ما يستقل العقل بإدراكه وبين مالا يستقل به ـ ناصحًا لهما كذلك بأنْ يَرِدَا معدن الحياة الأزلية بحضرة العطف الإلهى، مستظلين لطلب الراحة من الحيرة بالإقرار بالعجْز عن درْك الإدراك، حيث أنّ فى مثل هذا العجز السلامة والتسليم، إذ الأمر فى الحقيقة أعَزُّ وأعْلى من أنْ يتقيّد بشىءٍ، أو لشىء، أو تُدْركه الأبْصار، أو تحيط به الحواس.

ويقول:

وَغَاضت مياه الغَضا من غضى بأضلعه من هوى ساحر [١٦١]

ويقول غيره:

واهًا إلى ماء العذيْب وكيف لى بحشاى لو يصفى ببرْد زُلاله
ولقد يجلُّ عن اشتياقى ماؤه شرفًا فواظمئى للامع آله [١٦٢]

(١٥٩) ذخائر الأعلاق ص ٩٠.
(١٦٠) ذخائر الأعلاق ص ٢٠٠.
(١٦١) ذخائر الأعلاق ص ٢٥٦.
(١٦٢) قاموس الأناشيد ص ١٣٣.

٢ ـ السحابة أو الغَيم :

السحابة لفظ مفرد، وجمعها: سحائب، وجمع السّحاب سُحُب، ومعناه فى الأصل الغيم. . علْمًا بأنَّ الصوفية استعملوا ذات اللفظ فى معناه الأصلى تارة، وفى معان أخرى له مجازية ورمزية تارة أخرى، أرادُوا بها الإشارة إلى معان منها:

(أ) الفيض الإلهى وما فى معناه، من مثل: الهبات السماوية، والنفحات الربانية.

(ب) الأحوال التى تنتج المعارف.

(ج) الحجب التى تمنع المريد من الاتصال بخالقه، وتحول بينه وبين الالتزام بهديه وإرشاده[١٦٣].

وقد ورد عنهم فى ذلك ما تمثله النماذج الآتية:

يقول سيّدى الشيخ قريب الله وهو يخاطب السّحب، أو الواردات الإلهية، والرحمات الربّانية، شاكيًا لها ظمأه، طالبًا منْها أن تمنّ عليه بسر الحياة:

يا ساكبات السحب إنِّى ظامئ فى قفرة جودى بماء حياتى [١٦٤]

ويقول نفس الشاعر وهو يتحدث عن ذوى الهمم ممن جدوا فى السير إلى محبوبهم فَغَيّبهم عمَّا سواه، وأفْناهم عَمَّا عداه، وأغْدق عليهم نفحاته، وسحب هباته، ووافر ثوابه وعطائه.

سرايا الجيلى قد سارت * إلى محبوبها طارت * إلى أنْ فيه قد حارت * وغيَّبها وأفْناها وقد فاحتْ لها الأعطارْ * وجاد السحب بالأمطار * وقد حنّت لتلك الدار * ونَالَتْ خير عقباها [١٦٥]

---

(١٦٣) ذخائر الأعلاق ص ٤٠.

(١٦٤) رشفات المدام ص ٧٣.

(١٦٥) رشفات المدام ص ٤٠٢.

ويقول نفس الشاعر، وهو يتحدث عن الأكابر ممن أخلصوا فى العبادة وساروا على قدم الرسول عليه السلام، فجعلهم الله مصدر خيْر لغيرهم، ووسيلة إرشاد، وسُحب هدى لسكان الأمْصار والآفاق.

قومٌ بهم سحب السماهتّانة عمتْ لمنْ فى المصْر والآفاق(١٦٦)

ويقول النابلسى:

ورؤية الحق جلّ فينا وليْس فيها لنا ارتياب
والشمس فى الأفق نور وإنْ بدا دونها السّحاب (١٦٧)

والمعنى الرمزى لما تقدم، يفيد أن قلوب أرباب التجلّى وقد صفت كما صفَا الغدير الذى جُنِّب أنْ يحركه النسيم(١٦٨)، رئى فيها الله دون شك أو ارتياب، ذلك أنّ نور المولى أسْمى وأرفع وأوضع من أن تحول الكثافة والظلمة والحجب دون معرفته ورؤيته.

ويقول الشيخ قريب الله:

إذا هبت الأرياح من نحو طيبة فقد طابت الأرواح وانكشف الخطب
وإنْ فاح عَرْف من هناك فقد بدا لسرك معنًى لا تُفيدُكَه الكتب
وإنْ هطلت يومًا عليك سحابة من الحِبِّ أَحيت أنْفُسًا ونما الحُبّ (١٦٩)

---

(١٦٦) رشفات المدام ص ٢٤٩.

(١٦٧) ديوان الحقائق ج ١ ص ٤٢.

(١٦٨) إشارة إلى ما ورد من قول بعضهم:

إذا سكن الغدير على صفاءٍ وجُنِّب أنْ يحركَّه النسيم
يرى فيه السماء بلاء مراء كَذَاكَ الشمس تظهر والنجوم
كذاك قلوب أرباب التجلى يرى فى صفوها الله العظيم

(١٦٩) رشفات المدام ص ٢٧/ ٢٨.

ويقول ابن عربى:

رقـم الغَـيـم عـلـى ردن الـغـمـا مِـنْ سـنا الـبـرق طـرازًا مـذْهَـبَـا
فـجـرت أدمـعـهـا مـنْـهـا عـلـى صحْن خـدّيْـها فـأذكـت لهَـبا (١٧٠)

٣ ـ المـطـر:

المطر لفظ مـفرد، جمعه أمْطار، وهو فى الأصل مـاء السّحاب، وقد ورد فى أشعار الصوفـية هو وما فى معناه بنـفس هذا المعنى تارة، وبمعان رمـزية ومجازية تارة أخرى، أذكر منها ما يلى:

يقول ابن عربى:

والـوَدْق يـنـزل من خـلال سحـابـه كـدمـوع صبٍّ للـفـراق تبـدد (١٧١)

والمعنى أنّ نزول المعارف الإلهية من خلال أبْواب التجلّى المكنّى عنها بالسّحاب ينْساب وينهمر بصورةٍ تخرج عمّا يقتضيه الكـسْب، أو تتدخل فيه الإرادة البشرية.

ويقول النابلسى:

يـا مـن إذا بـخـل الـغـمـام بقطـره جـادت أنـامـلـه بـأبْـحـر بـرِّه (١٧٢)

ويقول أيضًا:

سـقـى الـوادى وحـيّا رُبَاهُ الـوَدْق ريّا
فـكـم دارتْ عـلـيّا بـه كـأس الحـمـيّا (١٧٣)

ويقول سيدى الشيخ قريب الله:

وتـرَقَّـبَـنْ وقـت الإجـابـة إنّـه لإجـابـة الـداعـين مثْل الموسم

---

(١٧٠) ذخائر الأعلاق ص ١٨٣.
(١٧١) ذخائر الأعلاق ص ٥٦.
(١٧٢) ديوان الحقائق ج ١ ص ٢٥٣.
(١٧٣) ديوان الحقائق ج ٢ ص ١٥١، هذا والوَدْق هو المطر.

والنِّصف من شعبان أكبر وقتها ونزول غيْث ثم زدْ ولْتلْزَم [١٧٤]

ويقول أيضًا:

قوْم إذا ما جتهم مستمْطرًا أُمْطرت من غيثٍ لهم دفاق [١٧٥]

ويقول سيدى الشيخ قريب الله:

يعم الوابل الهتّان أرضًا ثناها المحل عن عهد النماء
فتنْبت من قطوف الحُبِّ حَبًّا به الحكماء تُذهب كل داء [١٧٦]

ويقول اليافعى:

إلهى لئن لم تعف فالويْلُ كلُّه لعبد مسىء ذى ضلال وباطل
تعلّمَ علْمًا ليس فيه بعاملٍ وكم قال من قولٍ وليس بفاعل
فإن تنتقم من ظالمٍ شرّ ظالم فَعَدْلٌ أَتَى من عادل خيرِ عادل
وأن تعفُ منك العفو فضل أتت به سحائب جودٍ جادَ بالخصب هاطل
على مجدبٍ عطشان لهفان مقفر فقير إلى غوث يغيب ووابل [١٧٧]

٤ ـ الحوْض أو البركة:

الحوض لفظ مفرد، جمعه أحْواض، وحياض، وحيضان، وهو مجتمع الماء، وسُمى أيضًا برْكة وتجمع البركة على بِرَك. . هذا وقد استعمل الصوفية اللفْظيْن فى معناهما الأصلى تارة، واسْتعملوهما بمعانٍ رمزية تفيد الإيمان والمعرفة والقلْب تارة أخرى. . وكان ممَّا ورد عنهم فى ذلك ما يلى:

يقول النابلسى :

حوضى الذى ماؤه طول المدى جارى من عيْن أمرِ الذى لما يزلْ جارى

---

(١٧٤) رشفات المدام ص ٣٤١.
(١٧٥) رشفات المدام ص ٢٤٩.
(١٧٦) رشفات المدام ص ١٧.
(١٧٧) حكايات الصالحين لليافعى ص ٤٥.

هيْهات يـا غـرّ أنْ أعطـش وهُو جارى إن كنتَ تقدر عَلَى هذا فلى جارى (١٧٨)

ويقول أيضًا:

حوضى الذى فيه أنبوبات من كوثـر نـهـر الجـنان قليلـو للسـوى كـوْثـر
أنبوب روحى وأنبوب الجـسد كوثـر يسن موسى الهوى للخلق يا كوْثر (١٧٩)

وجاء عن البركة مايمثله قول الإمام النابلسى:

وبـركـة تـذهـل العـقـول بـهـا تحار فى بعض وصـفـها الفكـر
كـأنـهـا مـقـلـة مـحـدقـة عيْنٌ من الوجْد ينـالـها السـهر
تبْكى وما فارقـت لها وطـنـًا يـوْمًـا ولا فـات أهـْلـها وطـر
تـخـال أنبـوبـهـا لـصـحـتـه والمـاء يـعـلـو بـهـا ويَنْحَـدرُ
كصـو لجـانٍ مـنْ فضـّة سـبكـت فـواقـع المـاء تحـتـها أكـر (١٨٠)

٥ ـ الفَوّارة أو النّافورة:

الفوارة مؤنث الفوّار، وهو منْبع الماء، ويطلقُ العامة ذات اللفظ على ما يفور صاعدًا. . علْمًا بـأنّ اللفظ عند الصّوفـية يشير إلى الحركـة الدائبة التى تتـحركها الكائـنات وهى تسبِّح بحـمد الله، وتخر لعظـمته، مذكرة غـيرها بواجبهـم نحو مولاهم.

هذا وقد ورد عـن النافورة أو الـفوّارة فى شعـر الصوفيـة ـ حقيقـة ورمزًا ـ ماتمثله النماذج التالية:

يقول سيدى النابلسى:

وربّ فـوارة راقـت نـواظـرنـا ومـن يشاهدهـا قـد حـركت طربـه
يعلـو ويـنـزل فـيـها المـاء منْحدرًا كأنّـها طاسـة البِلـّوْر مُنْـقـلبـه (١٨١)

(١٧٨) ديوان الحقائق ج ١ ص ٢٣٢.
(١٧٩) ديوان الحقائق ج ١ ص ٢٣٢.
(١٨٠) نفحات الأزهار ص ٢٦٠.
(١٨١) نفحات الأزهار ص ١٧٦.

ويقول أيضًا:

ربّ فـــوّارة خـــلال مـــــروج ... مَاؤُهَـا نـــاثـر عـقـود لآلـــى
كـلـمـا قـام ذلـك المـاء فـيها ... خـرّ لـلأرض سـاجـدًا للـحـال
وهـو فـى حـالـة الـــجـود تـراه ... فـى هـديـر بـذكـره مـتـوالـى
لـيـس إلاّ هـو الشـخـوص إذا مـا ... زال شـخـص أتـاه شـخـص تـالـى
جـلّ يـا مـاء خـالـق لـك أجـرى ... دائـمًا فـهـو ربـنـا ذو الجـلال
قـم بـه هـكـذا بـنـفسك واقْعد ... فى السواقى وصوْت ذكرك عـالـى
عـبـرة للـذى يـرى بـك مـنّا ... نـفـسه فـى تـكـوّن وزوال
مـدة العـمـر فـهـو لله عـبْـدٌ ... من أُولِى الأَمْر أمر مولى الموالى [١٨٢]

٦ ـ النّاعورة:

الناعورة لـفظ مفرد، جمعه نواعـير، وهى فى الأصل آلة لرفع المـاء، قوامها دولاب كبير وقواديس مـركبة على دائرة. . علْمًا بأن الصوفية قـد استعملوا ذات اللفظ بمعنـى رمزى ومجازى، مفاده الإشارة إلى المنبع الأسـاسى لكل موجود، وقد يُطلق اللفظ عندهم على المخلوقات عـامة إذا ما أحـنت الاستجابة لباريها، وانْصاعت لأوامره، وابتهجت طربًا بعبادته:

وفى معانى ما أوْردناه:

يقول النّابلسى:

لا تـخـلـط الـواجـب بالمـكـن ... وكـن بـتـمـيـيـزهـمـا مُعـتـنـى
فـالـواجـب الحـق وجـودٌ ومـا ... ســواه غـيـر الـعـدم المـكـن
مـكـوِّن الـذرات يـأتـى بـهـا ... وجـوده بـالـقـلـم المـقـتـنـى

(١٨٢) ديوان الحقائق ج ٢ ص ٣٧.

يـركـب الأشـيـاء مـــنـها عـلـى تـصـويـرهـا مـن فـاضـل أوْ دنـى
تـراه فـــى صـورة (نـــاعـورة) وتـــارة فـى شكـل روضٍ جـنـى
وهـو الـــذى قـد جـلّ فـى نـفـسه عن صـورة التّصـويـر للأعْـين [١٨٣]

ويقول أيضًا:

الغصن يـــرقُـص و(النواعيـر) الـتى بالجـنك قارنَـهـَا غـنـاء حـمـام [١٨٤]

٧ ـ العين أو الينبوع:

العين لفظ مفرد، جمعه أَعْيُن وعُيـون، وهو فى الأصل مصبُّ الماء، ومفجر ماء البـئر، وينبوع المـاء، وبهذا المعنـى وبمعان أخرى رمزيـة ومجازية، اسـتـعمل الصوفية ذات اللفظ ليشيروا به إلى:

(أ) المحبة.

(ب) الأصل.

(ج) بارئ الأشياء وخالقها.

وقد ورد عنهم فى ذلك مايلى:

يقول النابلسى:

عـين غـدت كـل العـــيـون جفونـها يـا قطرة فـزنـــا بكل بحـورهـا [١٨٥]

ويقول:

اشرب من العيْن لا تشرب من الكاسِ حتى تحقق وجود الطاعم الكاسى [١٨٦]

---

(١٨٣) ديوان الحقائق ج ٢ ص ١٨٥.

(١٨٤) ديوان الحقائق ج ١ ص ١٤.

(١٨٥) ديوان الحقائق ج ١ ص ٢٥٥.

(١٨٦) ديوان الحقائق ج ١ ص ٢٧٢.

ويقول:

ثمَّ سـقْهم إلـى حمـاك قبـولاً واسقهم منك رائق الينبوع[١٨٧]

٨ ـ البحار:

البحر لفظ مفرد، جمعـه أَبْحُر وبحور، وبحـار، وتصغيـره أُبَيْحِر، وهو فى الأصل الماء المالح، وقد يُراد به الماء العذب، وبمعناهما ورد قوله تعالى:

﴿ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[١٨٨].

هذا وقد استعمل الصوفية لفظ البحر بمعانٍ رمزية ومجازية، كان منها:

(أ) الحياة.

(ب) المحبة.

(جـ) العماء.

(د) الفيض والعطاء.

(هـ) عالم السر.

وبمعنى ما ذكرناه وغيره وردت النماذج الآتية:

يقول النّابلسى:

وفاض نحن علينا البحر فـامتـلأت بـه بواطـنـنا مـن غـيـر إعـْواز [١٨٩]

---

(١٨٧) ديوان الحقائق ج ١ ص ٣١٥، هـذا والينبـوع لفظ مفـرد جمعه ينابيع، وهـو عين الماء، أو الجدول الكثير الماء.

(١٨٨) سورة فاطر الآية ١٢.

(١٨٩) ديوان الحقائق ج ١ ص ٢٥٩.

ويقول:

هـذه الـنـفس كـالسّـفـيـنـة تجـرى ... لـو تـأمّلت مـنـك فى بحـر طـمـس
فاقـتـلع لـوحـها بـعـزمـك واغـرق ... يغسل المـاء مـنك آثـار رجـس [١٩٠]

ويقول:

والـنـفـس إن ألـقـت مـقـالـيـدهـا ... لـربـهـا تـخـرج مـن الحـبـس
جـوهـرة غـرقـاء فـى بـحـرهـا ... يقـول عـنـها غـيـرهـا نفـسى [١٩١]

ويقول:

أنـا بـالله عـارف ... ومـن البـحـر غـارف
بـحـر عـلـم مـقـدس ... مـنـه تـبـدو المعـارف
سُـفُـن كـلُّـنـا بـه ... طـاف فـيـهـن طـائـف
مـاء حـق صـفـا ولا ... شىء فـيـه يخـالـف [١٩٢]

ويقول سيدى النابلسى:

ولـمـا اسـتـرحـنـا واطـّرحـنـا عـنـاءنـا
تـركنا البـحـار الـزاخـرات وراءنـا ... فمن أيْن تدرى الناس أيْن توجَّهنا [١٩٣]

ويقول:

وشـربـتُ مـن بحـر المحبـة والـولا ... فَرَويت من بحْرٍ محيط فائـض [١٩٤]

ويقول سيدى الشيخ قريب الله:

إلـى كـم أنـا فـى أبحر الـوهـم عـائِم ... أما ثَمَّ مِنْ بحْر الضّلالة مسعفى [١٩٥]

(١٩٠) ديوان الحقائق ج ١ ص ٢٦٢.
(١٩١) ديوان الحقائق ج ١ ص ٢٦٧.
(١٩٢) ديوان الحقائق ج ١ ص ٣٣٣.
(١٩٣) ديوان الحقائق ج ٢ ص ١٣٩.
(١٩٤) كشف السر الغامض ج ٢ ص ٤٩.
(١٩٥) رشفات المدام ص ٢٤٤.

ويقول:

بحماكمو يـاآل بـيْـت محـمـد ... أنـا مُحْتَـم مـنْ حـاجـة لسـواكـم
وأمـدُّ كَـفَّ الفـقـر نحـو قِـرَاكُـم ... لـغـنـايَ يـا سـادات مـن جـدواكـم
أنـا ضيف مَـنْ حتّى أروح لغـيـركم ... حاشا وكلاّ ليس غـيـر عـلاكم (١٩٦)
يـا سـيّد الـرسل الكـرام وعـدّتـى ... يـسـرا وعـفـوًا عـاجـلا فَـنَـدَاكـم
بحـر عميـق لا قـرار لعـمـقـه ... فـتـداركـوا عـبـدًا أتـى لجـداكـم

ويقول الحلاّج:

إنـى ارتـقـيتُ إلـى طَـوْدٍ بـلا قـدم ... لـه مـراق على غـيرى مصـاعـيب
وخضتُ بحْرًا ولم يـرسب به قدمى ... خاضته روحى وقلبى مـنـه مـرغوب
حصْباؤه جَـوْهر لـم تـدن مـنـه يـد ... لكـنّـه بـيـد الأفـهـام مـنْـهـوب
شـربـتُ مـن مائـه ريًّـا بـغـيـر فـمٍ ... والمـاء مُـذْ كـان بـالأفـواه مشـروب
لأنّ روحى قـديمًـا فـيـه قـد عطشـت ... والجسْم مامسّه من قبل تركيب (١٩٧)

٩ ـ الأنهار:

النهر لفظ مفرد، جمعه أنهـر، وأنهار، ونُهُر، وهو لغة: الماء الجارى المتسع؛ وبمعناه ورد قوله تعالى:

﴿مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾(١٩٨).

---

(١٩٦) رشفات المدام ٣٢٠.

(١٩٧) ديوان الحلاج ص ١٦. هذا، والـطود هو القمة الروحـية، والمرغوب: الملآن، وحصْبـاؤه: حجارته، وجوهر: حقائق.

(١٩٨) سورة البقرة الآية ٢٥/ ٢٦٦، آل عمران ١٥/ ١٣٦/ ١٩٥/ ١٩٨/، النساء ١٣/ ٥٧/ ١٢٢/ والمائدة ١٢/ ٨٥/ ١١٩/ والتوبة ٧٢/ ٨٩/ ١٠٠/ والرعد ٣٥/ إبراهيم ٢٣/ النحل ٣١/ وطه ٧٦/ الحج ١٤/ ٢٣/ والفرقان ١٠/ والعنكبوت ٥٨/ والزمر ٢٠/ ومحمد ١٢/ والفتح ٥/ والحديد ١٢/ والمجادلة ٢٢/ والصف ١٢/ والتغابن ٩.

هذا وقد استعمل الصوفية لفظ النهر بنفس معناه الأصلى تارة، وبمعانٍ أخرى رمزية ومجازية تارة أخرى، من بينها ما يأتى:

يقول سيدى النابلسى:

وذكرت كل لطيفة فى روضة ... وهزار دوْح مطرب الترنام
وجداول الأنهار والنّسمات فى ... حركاتها والزّهر فى الأكمام (١٩٩)

ويقول ابن عربى:

إلى نهر عيسى حيثُ حلّت ركابهم ... وحيثُ الخِيام البيض من جانب الفم (٢٠٠)

ويقول:

نثر الدَّوْح علينا ... فى رُبَا نجد زهورا
فانتشقنا نسماتٍ ... ونأمّلنا النهورا (٢٠١)

ويقول:

عطشى العتيق من الجديد قد ارتوى ... لما به قصرِى على الماء استْوى
نهرٌ جَرى ويقال عنه أعوجٌ ... وإن استقام كما له الراوى روى (٢٠٢)

ويقول النابلسى:

سكنت والطير لى سمير ... بها ونهر المياه جارى (٢٠٣)

١٠ ـ الأوْدية:

الوادى لفظ مفرد، جمعه أودية، وأَوَادِيَة، وأَوْداء، والعامة تجمعه على

---

(١٩٩) ديوان الحقائق ج ١ ص ١٤.
(٢٠٠) ذخائر الأعلاق ص ٢٢.
(٢٠١) ديوان الحقائق ج ١ ص ٢٠٦.
(٢٠٢) ديوان الحقائق ج ٢ ص ٢٢٠.
(٢٠٣) نفحات الأزهار ص ٣١٥.

وُدْيَان، وهو فى الأصل منفرج جبال، أو آكام يكـون منفذاً للسيل. . . وقد جاء عن الوادى فى القرآن الكريم قوله تعالى:

﴿ فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا ﴾. . وجاء أيضًا ﴿ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾. . هذا وكان الصّوفية قد استعملوا ذات اللفظ بمعان رمزية مفادها الإشارة إلى الحضْرَة الإلهية تارة، والحضرة النبوية والوادى المقدس تارة أخرى(٢٠٤). . وقد ورد عن ذلك فى أشعارهم مايأتى:

يا صاحبى هذا العقيق فقفْ به ... متوالهًا إنْ كنت لستَ بوالهِ (٢٠٥)

ويقول غيره:

بالله يا سائق الأظعان فى التِّيهِ ... حَىِّ الملاعب من لعْع ووادية
وحىِّ سكّانه وانْزل بناديه (٢٠٦)

ويقول آخر وهو يمدح الرسول صلى الله عليه وسلم:

بوادى المنْحنى وبأرض رَامَهْ ... مليح بالحِمَى علاّ خيامه
ظريف كَيِّسٌ حسن جميل ... سخىٌّ الكف شيمته الكرامه
لطيف الذات ما أحْلاه بدرًا ... تثنّى الرمحُ حين يرى قَوامه
رئيس سالم من كل عيْبٍ ... بهيج نيِّر وله علامه (٢٠٧)

ويقول ابن عربى:

عرِّج ففى أيْمن الوادى خيامهُم ... لله دَرُّكَ ما تحويه يا وادى (٢٠٨)

---

(٢٠٤) ذخائر الأعلاق ص ١١٥، والآية الأولى من سورة الرعد ـ والآية ١٧، والآية الثانية من سورة طه ـ والآية ١٢.

(٢٠٥) قاموس الأناشيد ص ١٣٣ والعقيق المذكور هو وادى العقيق.

(٢٠٦) قاموس الأناشيد ص ١٤٥.

(٢٠٧) قاموس الأناشيد ص ٢٩٧، وهى من قصيدة فى مدح الرسول ﷺ.

(٢٠٨) ذخائر الأعلاق ص ٨٦.

ويقول:

أيـا روْضَة الـوادى أجِبْ ربَّـة الحما وذات الثنايا الغرِّ يا روْضة الوادى [٢٠٩]

ويقول:

يـا بـانـة الـوادى أرينـا فـنَـنَـا فى لـينِ أعطـاف لها أو قضبا [٢١٠]

ويقول:

فـارحَـلْ إلـى وادى الـلـوَى مـرتـعـهـم ومـصـرعـى
إنَّ بـه أحـبَّـتِـى عـنـد مـيـاه الأجـرع [٢١١]

ويقول النابلسى:

أيمـن الـوادى * مشرب الصّادى * إن حَدَا الحادى * هاج وجد المغرم الفانى
فـادخل النادى * واشـهد البـادى * دكّ أطـوارى * موذن أنّ السوى فان [٢١٢]

ويقول آخر:

ألا أيها الـوادى الذى فـاح طيـبـه عسـى لـك عـهـد مـن سعاد قـريب
وحُـيـيـت مـن وادٍ بكـل تحـيّـة لأنك منْ أجـل الحبيب حبيب [٢١٣]

ويقول ابن عربى:

فـإذَا جِئْتمـا وادى مـنـى فـالـذى قـلْـبى بـه قـد خـيّـما
أبـلـغـا عـنـّى تحيـات الهـوى كـلَّ مـن حـل بـه أو سلّـما [٢١٤]

---

(٢٠٩) ذخائر الأعلاق ص ١١٥.

(٢١٠) ذخائر الأعلاق ص ١٥٠.

(٢١١) ذخائر الأعلاق ص ١٦٤.

(٢١٢) ديوان الحقائق ج ١ ص ١٦٩.

(٢١٣) مشارف أنوار القلوب ص ١٢١.

(٢١٤) ذخائر الأعلاق ص ٢٠١.

ويقول:

ألا يـا بـانـة الـوادى بشاطئ نهـر بغـداد
ثـجانـى فيك مـيّاد طروب فوق ميـاد [٢١٥]

١١ ـ الجدول:

الجدول لفظ مفرد معناه النهر الصّغير، وجمعه جداول، وهو يفيد عند الصوفية رمزًا ـ لا حقيقة ـ فنون العلوم اللدنية التى متعلقها الأعمال الموصّلة إلى الله تعالى[٢١٦]، وبمعناه ورد ما يأتى:

يقول سيدى النابلسى:

ولنا الألـن الكثيرة فينا بلغاتٍ حارت بها الأفكار
فكأنّ الذات الشريفة دَوْحٌ وكأنّى من فوْقها أطيار
أتغنى وتارة أتعنى ونظام طورا وطورًا نثار
وعزام طورًا بأحور أحوى حدت حن وجهه الأقمار
وبهيفاء تارة ذات دَلٍّ شعرها الليل والجبين نهار
وبروض وجدول الماء طورًا وبكأس من المدام يُدار [٢١٧]

ويقول:

فجلستُ فى قصْرى عليه وكان لى قلبٌ به ولكل قلب مانوى
والماء عذب رائق متدفّق يطفى حرارات القلوب مِنَ الجَوى [٢١٨]

ويقول:

وجداول الأنهار والنّسمات حركاتها والزهر فى الأكمام [٢١٩]

(٢١٥) ذخائر الأعلاق ص ٢٦٠.
(٢١٦) ذخائر الأعلاق ص ٤١.
(٢١٧) ديوان الحقائق ج ١ ص ١٢.
(٢١٨) ديوان الحقائق ج ٢ ص ٢٢٠.
(٢١٩) ديوان الحقائق ج ١ ص ١٤.

ويقول:

ضفدع الماء نقّ يطلب ماءً وهو فى الماء بيْن روْضٍ أريض [٢٢٠]

١٢ ـ الغدير:

الغدير لفظ مفرد، جمعه غُدُرٌ، وغُدْرٌ، وغُدْرَانٌ، وأغْدِرَةٌ، ومعناه النّهر، وقد يُطلق على قطعة من الماء يتركها السيل. . على أن الصوفية استعملوا ذات اللفظ فى معانٍ رمزية مفادها صفاء القلب، وقد يُشار به أيْضًا عندهم إلى مايدلّ على المولى، حيثُ إنَّهُم يُلاحظونه ـ كما ورد ـ فى كل شيءٍ يرونه، وعن ذلك.

يقول النابلسى:

هو السنان والأغصا ن والغدران للصادى
هو الأزهار والأثما ر وهو السّيْل والوادى [٢٢١]

ويقول غيره:

إذا سكن الغدير على صفاءٍ وجنّب أن يحركه النسيم
يرى فيه السّماء بلا مراء كذاك الشمس تظهر والنجوم
كذاك قلوب أرباب التجلّى يرى فى صفْوها الله العظيم [٢٢٢]

١٣ ـ الثلج:

الثلج مفرد، جمعه ثلوج، وواحدته ثلجة، وهو يفيد فى الأصل ما يتجمّد

---

(٢٢٠) ديوان الحقائق ج ٢ ص ٢٤٦.

(٢٢١) ديوان الحقائق ج ١ ص ١٥٧، وفى مثل هذا المعنى يقول أحدهم.

ألاحظه فى كل شىء رأيتُه وأدعوه سِرًّا بالمنى فيجيب

[راجع مشارق أنوار القلوب ص ١٠٧].

(٢٢٢) قاموس الأناشيد.

من ماء السماء ويسقط، وقد ورد بهذا المعنى، وبمعان أخرى رمزية ومجازية، مفادها عند الصوفية أنَّ الوجود الحق للخالق لا للخلق.. وفى معنى ذلك:

يقول النابلسى:

إنْ حلّ قيْد الكون عن كائنٍ فذاك ثلج ذاب فى الشمس [٢٢٣]

ويقول:

والكائنات كثلجة ذابت بها ماء تفرق بالفنا وترشَّش [٢٢٤]

ويقول الجيلى:

وما الكون فى التمثال إلاَّ كثلجة وأَنْتَ لها الماء الذى هو نابع
فما الثلج فى تحقيقنا غير مائه وغيران فى حكم دهته الشرائع [٢٢٥]

١٤ ـ النَّدَى:

الندى مصدر جمعه أنْداء وأندية، وهو فى الأصْل المطر ويطلق أيضًا على مايسقط فى الليْل من بخار الماء المتكاثف.. وبهذا المعنى وبمعان أخرى رمزية ورد ما يأتى:

يقول النابلسى:

بكت عيون الندى عليها فافتَرَّ ضحكًا فمُ النوّار[٢٢٦]

(جـ) الرياح:

الرياح لفظ مفرد، جمعه أرْياح، وأرواح، ورياح، ورِيَح، وجمع الجمع أراويح وأراييح، وهى فى الأصل الهواء أو نسيم كل شىء، وتسمى بالجنوب إذا كانت قبلية، وبالشمال إذا كانت شمالية، وبالصَّبَا إن كانت شرقية، وبالدَّبُور إن كانت غَرْبية.

(٢٢٣) ديوان الحقائق ج ١ ص ٢٦٦.
(٢٢٤) ديوان الحقائق ج ١ ص ٢٧٥.
(٢٢٥) الفتوحات الإلهية فى شرح المباحث الأصلية لابن عجيبة ج ٢ ص ٢٠٧.
(٢٢٦) نفحات الأزهار ص ٣١٥.

هذا وقد استعمل الصوفية الألفاظ المذكورة فى معانيها الحقيقية، وفى معانٍ لها رمزية ومجازية، مفادها الفَيض الإلهى، والرحمة الرَّبَّانِيَة.. ومقام الحرمة، ومقام تمييز الأشياء بحقائقها وعالم الأنفاس(٢٢٧).

وقد ورد عنهم فى ذلك ما تمثِّله النماذج الآتية:

يقول الشاعر:

هبت رياح وصالها سحَرا ... بحرائق للشوق فى قلبى
فاهتز غصن الوجْد من طرب ... وتنا ثرت ثمرٌ من الحب (٢٢٨)

ويقول سيدى الشيخ قريب الله:

إذا هبّت الأرياح من نحو طيْبةٍ ... فقد طابت الأرْواح وانكشف الخطب(٢٢٩)

ويقول ابن عربى:

أى ريح نسمت ناديتُها ... يا شمالُ يا جنوبُ يا صَبَا
هل لديْكم خبر مما نبا ... قد لقينا من نواهم نَصبا
أسْندت ريح الصَّبا أخبارها ... عن نبات الشيح عن زهر الرُّبا
إنَّ مَنْ أمرضه داء الهوى ... فليعلّل بأحاديث الصّبا
ثم قالت يا شمالُ خبِّرى ... مثل ما خبرتُه أوْ أعجبا
ثم أنْتِ يا جنوبُ حدِّثى ... مثل ما حدثته أوْ أعْذبا (٢٣٠)

ويقول:

والريحُ تلعبُ بالغصون فَتَنْثنى ... فكأنّه منْها على ميعاد (٢٣١)

(٢٢٧) المنجد وذخائر الأعلاق ص ١٥١/ ١٨٠.
(٢٢٨) مشارق أنوار القلوب ص ٧١.
(٢٢٩) رشفات المدام ص ٢٧ رقم ٢٢.
(٢٣٠) ذخائر الأعلاق ص ١٨٠.
(٢٣١) ذخائر الأعلاق ص ٢٤٨.

ويقول:

ألا يانسيمَ الريحِ بلِّغْ مَها نجْد بأنّى على ما تعلمون من العهْدِ (٢٣٢)

ويقول:

واستنشق الريح من تلقاء أرضهم شوقًا لتخبرك الأرواح أين هُمُ (٢٣٣)

* * *

١ ـ الصَّبا:

الصَّبا مصْدر مُثَنّاها صبوان، وصبيان، والجمع صبَوات وأصباء، وهى فى الأصل رِيحٌ مَهَبُّها جهة الشرق (مؤنّثة)، ويقابلها الدَّبُور ومعناها الريح إذا كانت غَرْبيّة، وبمفهومها الرمزى المساوى لمفهوم النسيم المذكور سابقا وردت النماذج الآتية التى تفيد الهِبات الإلهية، والفيوضات الربّانية، وعالم الأنفاس ممن كانوا بعين التجلّى:

يقول الشاعر:

نعم بالصَّبَا قلبى صَبَا لأحبَّتى فياحبّذا ذاك الشَّذَا حين هَبَّتِ

سرت فأسَرَّتْ للفؤاد غُدَيَّةً أحاديث جيرات العذيْب فَسرّت

مُهَيْنِمَةٌ بالروْض لَدْنٌ رداؤها بها مرض من شأنه برء علّتى

لها بأعيْشاب الحجاز تحرُّش به لا بخمْر دون صَحْبى سكْرتى

تذكّرنى العهدَ القديمَ لأنّها حديثة عهد من أهيْل مودَّتى (٢٣٤)

ويقول الشيخ قريب الله:

نعم قد سرت ريح الصَبا من أحبتى وقد شدَت الأطْيار منْ فوق دوْحة (٢٣٥)

---

(٢٣٢) ذخائر الأعلاق ص ٢٥٠.

(٢٣٣) ذخائر الأعلاق ص ٢٥٩.

(٢٣٤) قاموس الأناشيد ص ٥٧، هذا والهيمنة الصوت الخفى ـ راجع المنجد مادة (هَيِنَ).

(٢٣٥) رشفات المدام ص ٥٨.

ويقول غيره:

ثَمرّ الصبا صفـحًا بساكن ذى الغَضا ... ويصدع قلبى حين هبّتْ هبوبها
قريبة عهد بالحبيب وإنَّما ... هوى كل نفس حيث حَلَّ حبيبها (٢٣٦)

ويقول الشيخ قريب الله:

بَرْق الحجاز من المدينة لاحا ... شَغَلَ القُلُوبَ وهَيَّمَ الأرْواحا
وتنمت ريح الصَّبَا فصبَتْ لها ... روحُ المحبِّ من الدِّيار صباحا (٢٣٧)

ويقول:

يا حضْرَةً فاحت لنا أعْطارها ... جوْف الدُّجَى فتعطّرت ذكارها
وتنسَّمت ريحُ الصبا بصبابة ... لما تفنّن فى الحدا شعّارها (٢٣٨)

ويقول ابن عربى:

فقفوْت أَسْأَلُ عنهم ريحَ الصَّبَا ... هل خيموا أو اسْتظلوا الضَّالا (٢٣٩)

ويقول:

ما صدقتْ ريحُ الصَّبَا ... حين أتت بالخدع
قد تكذب الريحُ إذا ... تسمع مالم تسمع (٢٤٠)

ويقول:

سألتُ ريح الصَّبَا عنْهم لتخبرنى ... قالت: ومالكَ فى الأخبار من أرب (٢٤١)

---

(٢٣٦) مشارق أنوار القلوب ومفاتح أسرار الغيوب ص ٣٦.

(٢٣٧) رشفات المدام ص ٨٦.

(٢٣٨) رشفات المدام ص ٤٠٢.

(٢٣٩) ذخائر الأعلاق ص ٩١.

(٢٤٠) ذخائر الأعلاق ص ١٦٦.

(٢٤١) ذخائر الأعلاق ص ٢٢٨.

٢ ـ النسيم:

النّسيم: هى الريح الليِّنة التى لا تحرك شجرًا ولا تُعَفِّى أثَرًا، وقد جاءت الإشارة إلى النسيم فى الشّعر الصُّوفى بما يفيد عالم الأنفاس وطيب الحمى، والركون إلى الله.[٢٤٢]. . علْمًا بأن الركون إلى نسيم الأسحار يُعْتبر عيبًا ومذلة وانْصرافًا عن الجادة فى نظر الصّوفية؛ وهم كثيرًا ما كانوا يستأنسون فى فهْمهم لذلك بما ورد فى قصة «برخ»، وهو العبد الأسود الذى اسْتسقى به سيدنا موسى عليه السلام؛ إذْ يُقال: إنّ الله تعالى قال لموسى عليه السلام: إنّ «برْخًا» نعْم العبد، هو لى، إلاّ أنّ فيه عيْبًا. . قال: يارَبِّ، وما عيْبُه؟! قال، يُعجبُه نسيم الأسْحار فيسكن إليْه ومن أحبّنى لم يسكنْ إلى شىء[٢٤٣].

عن هذا النسيم وعن ذلك الفهم وغيره من الحقيقة والمجاز ورد مايأتى:

يقول النابلسى:

ماهينمت نسماتها وتألّقت ... منها البروق على مرور دهورها [٢٤٤]

ويقول:

وجثة نبتت مما يحلّ لها ... من المآكل مافى ضَعْفها باس
كالغصن مَاسَ به طوْرًا نسيم صبا ... وقام طوْرًا به والغصن مياس [٢٤٥]

ويقول:

يا نسيمًا سرت سحرا ... من شذاها الكون قد عبقا
خبِّرينا عن أحبّتنا ... وعن الأهلين والرُّفقا [٢٤٦]

---

(٢٤٢) ذخائر الأعلاق ص ٤١.

(٢٤٣) إحياء علوم الدين ج ١٤ ص ١٠٥ ـ كتاب المحبة والشوق، والأنس والرضا.

(٢٤٤) ديوان الحقائق ج ١ ص ٢٥٥.

(٢٤٥) ديوان الحقائق ج ١ ص ٢٦٤.

(٢٤٦) ديوان الحقائق ج ١ ص ٣٣٩.

ويقول:

وسرت نسمةُ الحمى فأهاجتْ ... شوق صبٍّ ما إنْ له من حراك [٢٤٧]

ويقول:

باللّه بلغ يا نسيم الريح عن ... شوْقى وبالغ يا نسيم الريح

وَاسْأَلْ بلطف منيتى عنِّى ولا ... تأتى بوجه للمليح قبيح

وانْعَتْ له وجْدى القديم وصفْ له ... شغَفى وما ألقى من التبْريح

طفح الغرام علىّ حتى بالهوى ... صرحْتُ فى حبِّى لكل صبيح

وكتمتُه لمّا بدا لنواظرى ... نور الخباء وملت للتلميح

وأنا الذى بهوى المليح تَعَمُّمِى ... أبدًا ومِنْ شوقى له توْشيحى [٢٤٨]

ويقول:

يأتى النسيم لهم بأخبار الحمى ... للمسك فاوح فى الهبوب وشاذَى [٢٤٩]

ويقول:

أهيم بأنفاس النسيم وإنَّنِى ... بطيب الحِمَى لا بالنسائم عاطر [٢٥٠]

ويقول:

ونسيم الأمر فينا عايق ... وأزاهير الربا تَبْتَسِمُ [٢٥١]

---

(٢٤٧) ديوان الحقائق ج ٢ ص ٨.

(٢٤٨) ديوان الحقائق ج ١ ص ١١٧.

(٢٤٩) ديوان الحقائق ج ١ ص ٢٠٠.

(٢٥٠) ديوان الحقائق ج ١ ص ٢٠٢.

(٢٥١) ديوان الحقائق ج ٢ ص ٦٤.

ويقول:

إنّ الخريف هو الربيع الثّانى ... ونسيمُه هو للغصون الثانى
يُثْنى الغصُونَ مجرِّدًا أثوابَها ... قصْد العناق لغصنها العريان
فانهضْ إلى مَرَح الشبيبة قبل أنْ ... يأتى المشيبُ بحلة الأحزان (٢٥٢)

ويقول النّابلسى:

يموج بحرُ النسيم فيها ... ومالَه قطُّ من قرار (٢٥٣)

ويقول غيره:

نسيم نجد سَرَى سحيرًا ... فجدَّدَ الشوق والمبانى
وهبَّ ريح الصَّبَا بروح ... مخبِّرًا عن عريب بانى (٢٥٤)

ويقول العفيف التلمسانى:

أسْكَرْتِ بانَ الحمى يانسمة السَّحر ... فهلْ أتيتِ عن الأحْباب بالخبرِ ؟
نعم مررتِ بذاك الحىِّ فاكتبتْ ... ذُيولُ بُرْدِكِ ريّا نشره العَطِر
يا روح روحى بروحى للحمى وقفى ... به فديْتك بين البان والسَّمرِ (٢٥٥)

ويقول الشيخ نجم الدين بن إسرائيل:

عندى قبول لنسيم القبول ... أظنه من حىِّ ليْلى رسول
شتتُ شمْل الهم لما سرى ... كأنّما طاف بكأس الشمول (٢٥٦)

---

(٢٥٢) ديوان الحقائق ج ٢ ص ١٧٧/ ١٧٨ .

(٢٥٣) نفحات الأزهار ص ٣١٥.

(٢٥٤) قاموس الأناشيد ص ٣٨.

(٢٥٥) كشف السر الغامض ج ١ ص ٣٥١.

(٢٥٦) كشف السر الغامض ج ١ ص ٣٧٠.

ويقول الشيخ قريب الله:

وإن هيمنت يومًا عليكَ نُسَيمةٌ ... علوت بها أوْجًا وواجهك الغرب [٢٥٧]

ويقول الشيخ نجم الدين بن إسرائيل:

وافى النسيم مُضَمّنا ريّاكم ... فإذا بَنى شوقا إلى رؤياكم
عَبَقًا يتيه على العبير وإنّما ... عبقت غلائله بنشر ثراكم
وَلَّى وفيه من بشائرِ وصْلكم ... معنًى ومعناه شَذَا ريّاكم [٢٥٨]

ويقول غيره:

أيُّ النّسيم سرى بأيِّ خيام ... متوشحًا بذوائب الأعلام
وَافَى وقد عبقت بنشر أحبَّةٍ ... نفحاته لا عرعر وثمام
فطربتُ لا أدرى بأيِّ لطيفة ... وسكرتُ لا أدرى بأيِّ مُدام
لولا هوًى للروح بيْن خيامهم ... ماكنتُ وَلاَّعًا بكل خِيام [٢٥٩]

ويقول غيره:

ولولا معانٍ من جمالك تجتلى ... وإلاَّ فما حُزْوى وما سفح عاقل
أأحبابنا حمّلتُم الكونَ بهجة ... فأصبح أبْهى من حُلِيّ الخلاخل
وعطرتم أرجاءه بنسيمكم ... ففاح بأذكى من عبير الغلائل
فمن أجلكم أشتاق سَلْعًا وحَاجِرًا ... وإلاَّ فما لى والرُّبَا والجنادل [٢٦٠]

ويقول الشيخ قريب الله:

وأنفاس النسيم تهب دَوْمًا ... تحثك للنهوض بلا تَناءِ [٢٦١]

---

(٢٥٧) رشفات المدام ص ٢٨.

(٢٥٨) كشف السر الغامض ج ١ ص ٣٧٠.

(٢٥٩) مشارق أنوار القلوب ومفتاح أسرار الغيوب، ص ٢٦ طبع دار صادر بيروت.

(٢٦٠) مشارق أنوار القلوب ص ٥١، ولمزيد من النماذج راجع: رشفات المدام ص ٢٨/ ٣٥/ ٧٢/ ٨٢/ ٨٧/ ٨٩/ ٩٦/ ١١٨/ ١٤٤/ ٢٤٤/ ٢٥٠/ ٢٥٩/ ٢٩٨/ ٣٧٣/ ٣٠٥/ ٣٢٤/ ٣٦٩/ ٣٧٢/ ٤١٦.

(٢٦١) رشفات المدام ص ١٧.

٣ ـ الرعد:

اسْتعمل الصوفية لفظ (الرعد) للإشارة إلى المناجاة الإلهية التى تحصل عقب الشهود؛ علْمًا بأنّ اللفظ فى الأصل معناه صوت السحاب، وعنه وردَ رمزًا وحقيقة ما يأتى:

يقول الشاعر:

ألا ليْت شعْرى هل سُلَيْمَى مقيمة ... بوادى الحمى حيث المتيم والع ؟
وهل لَعلْع الرّعدُ الهتون بلعْلَعٍ ... وهل جَادَهَا صوب من المزن هامع؟ (٢٦٢)

ويقول ابن عربى :

رقت حواشيها ورقّ نسيمها ... فالغيم يُبْرق والغمامة تُرْعد (٢٦٣)

والمعنى أنه لطفت معانى ما تحمله النفس من الظرف والأدب، ولطف عالم الأنفاس منها فى حالتى المشاهدة والخطاب المشار إليهما بما ورد فى الأثر الذى نصه: «وجاء ربك فى ظُلَلٍ من الغمام»، وما نصّه أيضًا: «كان الله فى عماء، مافوقه هواء وما تحته هواء»(٢٦٤).

ويقول ابن عربى أيضًا:

لمعت لنا بالأبرقين بروق ... فصفت لهَا بين الضلوع رعود (٢٦٥)

ويقول ابن عربى:

أضاء بذات الأضا بارق ... من النور فى جوها خافق
وصلْصل رعد مناجاته ... فأرسل مدراره الوادق (٢٦٦)

---

(٢٦٢) قاموس الأناشيد ص ١٥٥.
(٢٦٣) ذخائر الأعلاق ص ١٥٥.
(٢٦٤) ذخائر الأعلاق ص ١٥٥.
(٢٦٥) ذخائر الأعلاق ص ٤٠.
(٢٦٦) ذخائر ص ١٩٠.

ويقول ابن عربى:

كـــأنّ الـــرعـــود للـمـع الـبـــروق وسـير الـغـمـام لـصوْب المطـر (٢٦٧)

(د) الضياء:

١ ـ الشمس: الشمس تصغيرها شُمَيسـة، وجمعها شموسٌ، وهى فى الأصل الكـوكب النّهـارى الذى يُشكـل كرة غازيةً تـقدر درجة حـرارتها الـسطحـية ب (٦٠٠٠)، والداخلية ببضعة ملايين، وقطرها ١٠٩ أضعاف قطر الأرض. . وقد وردت الإشارة إلى الشـمس فى عدد مـن آيات القرآن الكـريم، كان منهـا قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْآفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾(٢٦٨).

هذا وبمـا أنّ الشمس هـى النور الأكبـر الذى يمحق نـوره كل نور، فقـد أكْثر الصوفية من ذكرها لا بمفهومها اللّغوى، ولكن بمفهوم لها رمزى، يُشير غَالبًا إلى نور المولى عز وجل، إذْ هو كـما وصف نفسه: ﴿ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾(٢٦٩). كما يُشير إلى ظهور العلوم القطبيّة التى عليها مدار علوم العالم، وإلى مقام العزّة والكبرياء(٢٧٠).

---

(٢٦٧) ذخائر الأعلاق ص ٢١١.

(٢٦٨) سورة الأنعام ـ الآيات من ٧٦ ـ ٧٩.

(٢٦٩) سورة النور الآية ٣٥.

(٢٧٠) المنـجد، وذخائـر الأعلاق ص ١٨٤/ ٢٣٤/ هذا، وبمـا أن الشىء بالـشىء يُذكَر، فقـد كان فيـلون اليهودى PHILON [١٣ ـ ق/ م ـ ٥٤م] يُسمِّى الله تـعالى: شـمس الـشموس، والـشمس المـعقـولة للشـمس المحـسوسة، متأثرًا فى ذلك بـأفلاطون. [راجع قاموس الفلاسـفة للدكتور جمال هـاشم، طبع الدار البيـضاء بالمغرب، سنة ١٩٩١ ص ٣٣، وراجع فلـسفة وحدة الوجود تأليف الأسـتاذ الدكتور حـسن الفاتح].

وقد ورد عن الشمس بِمَعَانِيهَا الرمزية والحقيقية فى شعر المتصوفة، ماتمثله النماذج الآتية:

يقول الشيخ عبد الغنى النابلسى:

شمس وعن علمها كل الوَرَى ظهروا ... كأنماهم ظلالات وأفيَاء [٢٧١]

ويقول:

أنا شمسهم والنور يَبْدو لى بهم فى كل بدر

فى كلٍّ مرتبةٍ لهم ... حسب المقام وحسب ذكر [٢٧٢]

ويقول:

هم حجاب لنا عليهم كَثِيفٌ ... حاجبٌ من ظهور شمس النّهار

ظلمات ونحن فى نور حق ... هو عنهم بكونهم متوارى

كلما أشرقت لنا الشمس منهم ... أظلمت عندهم على الأبصار [٢٧٣]

ويقول:

شمس بها كلّ الشموس تنوّرت ... منها ولاحت فى ذوات بدورها [٢٧٤]

ويقول النابلسى:

شمس بطلعتها خفافيش الوَرَى ... عميت وكان الطرف منها أعْمشَا [٢٧٥]

---

(٢٧١) ديوان الحقائق ج ١ ص ٣٢.

(٢٧٢) ديوان الحقائق ج ١ ص ٢٢٣.

(٢٧٣) ديوان الحقائق ج ١ ص ٢٣٢/ ٢٣٣.

(٢٧٤) ديوان الحقائق ج ١ ص ٢٥٤.

(٢٧٥) ديوان الحقائق ج ١ ص ٢٧٥.

ويقول:

وفى الغيب غيب الغيب اختفت ... على الكل شمس فلا تطلع
ونحن الخفافيش فى نورها ... نقوم لها ولها نركع
هى الذات ذات الوجود الذى ... إذا ما تبدت لها نخشع
ولم نُورِ منها سوى أمرها ... ونحن على وجهها برقع (٢٧٦)

ويقول:

شموسك يا سلمى علينا بوازغ ... أم النعم المستشرفات السوابغ
جلا ليبها الأكوان تكشف تارة ... وتستر أُخرى والمعانى نوابغ
تجلت فأفنتنا فكنّا ولم نكن ... فنحن بهن المترعات الفوارغ (٢٧٧)

ويقول:

شمس هذا الكون طالعة ... جذبت روح الذى رمقا
ذاتها مِنْ ذات لا بسها ... وهما فى النشأة افترقا
وهى من أنوار بهْجته ... بالعطايا تملأ الأفقا (٢٧٨)

ويقول ابن عربى:

تشرق الشمس إذا ما ابتسمت ... ربِّ ما أنْور ذاك الحبيبا (٢٧٩)

ويقول:

طلعت شمسنا على الأفلاك ... فانمحت ظلمة النفوس الحلاك (٢٨٠)

---

(٢٧٦) ديوان الحقائق ج ١ ص ٣١٦.
(٢٧٧) ديوان الحقائق ج ١ ص ٣٢٣.
(٢٧٨) ديوان الحقائق ج ١ ص ٣٣٩.
(٢٧٩) ذخائر الأعلاق ص ١٨٤.
(٢٨٠) ديوان الحقائق ج ٢ ص ٨.

ويقول:

إن تكن بالله قائم ... لم تكن بل أنتَ هو
أنتَ ظلّ الغيب من أسْما ... ئه والشمس هو

* * *

أشرقت أنوارُ سلمى ... فظهرْنا كلنا
يا خفافيش التَّجلّى ... ما تبدَّى غير هو (٢٨١)

ويقول محيى الدين بن عربى - وهو يشير إلى أنّ مفهوم الذكر عنده وعند أمثاله لا يكون إلا بعْد نسيان(٢٨٢)، وأن مَنْ فى النفس والجوانح والفكر لا يُنسى ولن يُنسى(٢٨٣) - يقول:

بذكر الله تزداد الذنوب ... وتنطمس البصائر والقلوب
وترك الذكر أفضل كلّ شىء ... وشمْس الذات ليس لها غروب (٢٨٤)

(٢٨١) ديوان الحقائق ج ٢ ص ٢٠٣، هذا، ولنا شرح على هذه الأبيات. فليراجع فى كتاب فلسفة الشطح عند الصوفية.

(٢٨٢) إلى مثل هذا المعنى يشير البيت الآتى:

الله يعلم أنّى لست أذكره ... وكيف يذكره من ليس ينساه

ويشير أيضًا قول الشاعر:

عجبت لمن يقول ذكرتُ ربِّى ... فهل أنْسى فأذكر ما نسيتُ
شربتُ الحبّ كأسًا بعد كاس ... فما نَفَدَ الشراب ولا رويتُ

[راجع الرمز الشعرى ص ٣٤١، وكتاب الصناعتين للعسكرى ص ٣٩٥، ومجلة الأزهر المجلد السابع ص ٦٤٣].

(٢٨٣) هذه إشارة إلى قول سمنون المحب:

لا لأنى أنساك أكثر ذكراك ... ولكن بذاك يجرى لسانى
أنت فى النفس والجوانح والفكـ ... ـر وأنت المنى بكل مكان

[راجع عقلاء المجانين لجبران جبور ص ٨٦ - طبع دار الجيل ببيروت].

(٢٨٤) شرب الكأس ج ٢ ص ٢٨.

ويقول ابن عربى:

كـأنـها شمس ضـحًى فى حـمَـلٍ قاطعة أقْصى مـعـالـى الـدّرَج
إن حـمـرتْ بـرقـعَها أو سـفـرتْ أزرت بـأنـوار الـصّباح الأبْلـج[٢٨٥]

ويقول:

وقـالـوا الشـمـوس بـدار الـفـلـك وهو مـنـزل الشمس إلاّ الفلك [٢٨٦]

ويقول سيدى النابلسى:

شمس لها قـلب المـوحـدِّ مَطْـلـع ولـهـا الـنّواظر مـغرب والمـمـع
ظهـرت عـلـىَّ ولات حـيـن تـأمُّـل فـالبرق يلمح والحـوادث يلمع [٢٨٧]

ويقول سيدى النابلسى:

إنّ شمسى مـن طاقـتـى فـى طلـوع كل وقـت قـد أعـدمـت مجموعى
وهـى أيْـضًا مـن كل طـاقـة عـبـد تـتـجـلـى كـمـثـل بـرق لمـوع
قـف بـنـا سـاعـةً رويْـدك يـأمـن هـو بـى سـائـر بـغـيـر رجـوع
وتعـطّف عـلـى ذواتٍ سـكـارى بـك مـا بـيْـن يـقْـظـة وهـجـوع
يـتـرجّـون نـظـرة تحـتـويـهـم بكمـال الـجـود بـعـد الـركـوع
ثـمّ سُـقـهـم إلـى حـمـاك قـيـولا واسْقهم منك رائق الينبوع [٢٨٨]

---

(٢٨٥) ذخائر الأعلاق ص ٢٣٤.

(٢٨٦) ذخائر الأعلاق ص ٢٤٤.

(٢٨٧) ديوان الحقائق ج ١ ص ٣١٠.

(٢٨٨) ديوان الحقائق ج ١ ص ٣١٥، هذا ولمزيد من النماذج عن الاستعمالات الرمزية لمفهوم الشمس عند الصوفية يمكن مراجعة مايلى: رشفات المدام ص ٨٦/ ١٦٤/ ٢١١/ ٢١٢/ ٢٣٨/ ٢٣٩/ ٢٤٤/ ٢٦٣/ ٢٦٧/ ٢٧٢/ ٢٨٥/ ٢٨٨/ ٣٠٤/ ٣١٢/ ٣٢١.

٢ ـ القـمـر:

القمر لفظ مفرد، جمعه أقمار، وهو كوكب يستمد نوره من الشمس فينعكس على الأرض، فيرفع ظلمة الليل، علمًا بأنّ هذا الكوكب إنما يُسَمى قمرًا بعد ثلاث ليال إلى آخر الشهر، أما قبْل ذلك فهو هلال.. وقد سُمِّيَ القمر بهذا الاسم لبياضه(٢٨٩).

ورد ذكر القمر فى القرآن الكريم فى عدد من الآيات، كان منها قوله تعالى:

﴿ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ﴾(٢٩٠).

وقوله تعالى:

﴿ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ﴾(٢٩١).

وقوله تعالى:

﴿ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ﴾(٢٩٢).

وقوله تعالى:

﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا ﴾(٢٩٣).

وقوله تعالى:

﴿ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ﴾(٢٩٤).

وقوله تعالى:

﴿ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾(٢٩٥).

---

(٢٨٩) المنجد.

(٢٩٠) سورة الأنعام ـ الآية ٧٧.

(٢٩١) سورة الأنعام ـ الآية ٩٦.

(٢٩٢) سورة الأعراف ـ الآية ٥٤.

(٢٩٣) سورة يونس ـ الآية ٥.

(٢٩٤) سورة يوسف ـ الآية ٤.

(٢٩٥) سورة الرعد ـ الآية ٢.

وقوله تعالى:

﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴾(٢٩٦).

هذا وقد استعمل الصوفية لفظ القمر فى معناه الحقيقى تارة، وفى معان أخرى تارة ثانية، عنوا بها التجلّى الإلهى، والنور الربّانى، والذات المقدسة، والجمال المطلق... ذلك أنهم كانوا وما يزالون يشاهدون محبوبهم فى كل شىء لاَحَ للعين مَرآهُ، وقد عبر عن ذلك بعضهم ـ كما سبق أن ذكرنا ـ فقال:

أرى كل شىءٍ لاحَ للعين مرآه ... أشاهد فيه وجه من أنا أهواه
فهل عاشق إلاَّ لوجهك عشقه ... وهل نفس إلاَّ سَرَى منك ريّاه
فلا ذاكرٌ إلاّ لأجلك ذكْره ... ولا راحلٌ إلاّ لقصدك مسراه
ولا شىء إلاَّ أنْت فيه مُمَثَّلٌ ... مقيمٌ وإنْ لاحت لعيْنى أشباه (٢٩٧)

ويقول غيره:

لقد ظهرتَ فما تخفَى على أحدٍ ... إلاَّ على أكْمَهٍ لا يعرف القمرا
لكن بطنتَ بما أظهرت محْتجبًا ... وكيف يُعرف من فى عينه استترا (٢٩٨)

ويقول:

ولى قمر فى أرْض نجد محلُّه ... على أنّه قد أخجل الشّمس والبدرا
ولما تبدَّى حُسنُه وجماله ... ولاح لعيْنى نورُ طلعته الغرا
وهبتُ له روحى وقلتُ لك الحشا ... محلاً أيا من حُسْنه حيَّر الفكرا
إذا قال: يا عبدى، أقول: ذكرتَنى ... وسمّيتنى عبْدا وشرَّفْتَنى قدْرا
ومن أنا يامولاى حتى ذكرتنى ؟! ... لقد تم إسْعادى وذا أوَّلُ البشرى (٢٩٩)

(٢٩٦) سورة إبراهيم ـ الآية ٣٣.
(٢٩٧) مشارق أنوار القلوب ص ٩١.
(٢٩٨) مشارق أنوار القلوب ص ١٢٤.
(٢٩٩) قاموس الأناشيد ص ١٩٥.

ويقول النابلسى:

قمر الغيب بدا فى أفقى ... يتجلّى ولفرقى جمعا
وفروضى حزمت فيه كذا ... سُنَنٌ صارت عليه بدعا
فإذا كنتُ فكوْنى خطأٌ ... وهو ذنْب كان منِّى وقعا
وامتلا الكأس، ولا كأس هنا ... والوِعَا فاضَ، ومائَمَّ وعَا
والتماثيل عليها عكفت ... أُمَّة الوهم وزادت طمعا[٣٠٠]

ويقول:

قمر من فوق غُصنْ نقا ... يتجلّى سبحان مَنْ خلقا
هذه الأكوان طلعته ... كل منْ قدهام فيه رَقى [٣٠١]

ويقول:

جئنا إلى الحسَنِ المعروف بالراعى ... نزور فى قطنا منه الفتى الراعى
يرعى بهمته مَنْ زاره وبما ... يريد منه يوافيه بإسراع
وجْه تبدَّى كبدْرٍ، بَلْ كشمس ضُحًى ... إلى محبته قلب الشجى داعى
يميط ستر تراب الكون عن قمر ... تحت البراقع عند الناظر الواعى
إليك يا كوكب القدس الذى سطعت ... أنواره غيب أمرٍ منه لمّاع
قوم أتيناك نَبْغِى من علاك قِرًى ... نُمَدُّ فيه بأجناس وأنواع [٣٠٢]

ويقول ابن عربى:

يا قمرًا فى شفق من خفر ... فى خدِّه لاح لنا منتَقبا [٣٠٣]

---

(٣٠٠) ديوان الحقائق ج ص ٣١٢.

(٣٠١) ديوان الحقائق ج ١ ص ٣٣٨.

(٣٠٢) ديوان الحقائق ج ١ ص ٣٢٠.

(٣٠٣) ذخائر الأعلاق ص ١٤٣، هذا، ويقول ابن عربى: إن القمر حالة بين البدر والهلال.

ويقول النابلسى:

قمر لانضام فيه اجتلا ... بَيَّنَتْهُ ذَوَاتُنَا تَبْيِينَا
وإذا أظْلم الكيان عليْه ... أطْلعته الغيوب حينًا وحينا (٣٠٤)

٣ ـ البدر:

البدر جمعه بدور، وهو القمر المتلئ. . وقد ورد اللفظ فى أشعار الصوفية وتعبيراتهم بمعنى النّور الإلهى والتجلّى الربّانى تارة، وبمعانٍ متنوعةٍ تارةً أخرى. . وعن ذلك:

يقول سيدى النابلسى:

قلوب متى منه خلت فنُفوس ... لا حرف وسْواس اللعين طروس
وإن ملئت منه ومنْ نور ذكره ... فتلك بدور أشرقت وشموس (٣٠٥)

ويقول النابلسى أيضًا:

أزال عن الوجه الجميل قناعُهُ ... وأظْهَر فينا علْمَه واطِّلاعَهُ
فزالت جميع الكائنات حقيقة ... وصار افْتراف الكلّ عندى اجتماعه
مليح له منه عليْه شواهد ... متى أمرَ المضنى بأمرٍ أطاعه
هو الشمس أضْحى والجميع ظلاله ... هو البدْر أمْسى كل شىءٍ شُعاعه
رأت عيونى المبصرات عيونَه ... وأدركتْ باعى فى التناول باعُه (٣٠٦)

ويقول:

بدر تَمٍّ لاحَ فى الغَسَقِ ... فوق غصْن بالجمال سُقِي

---

(٣٠٤) كشف السر الغامض ج ١ ص ٣٩٦.

(٣٠٥) ديوان الحقائق ج ١ ص ٢٦٢.

(٣٠٦) ديوان الحقائق ج ١ ص ٣٢١.

وبـــه الألـبـــاب هـــائـمـة ... سكـــرت مـنـــه فـلـم تـفـق
عـطـرت روضـــى نـســائـمـه ... حـين وافـت بـالـشـذا العـبـق
خـطـفـتـه مـــنـــه بـــارقـــة ... غـيـرهـا فـى الـقـلـب لـم يـرق
فـــأدارت كـــأس خـمـرْتـــه ... فـهْـو مـنـهـا الـيـوم فـى غـــرق
وأثـــارت عـــــرَفْ روضـتـــه ... فى الـوَرَى طـوبـــى لمُنْتَشق (٣٠٧)

ويقول:

أنـــا بـدر اللـيْـلة الظـلْـمَاء لا ... صوت إلا وهو مِنْ صوتى صدى (٣٠٨)

ويقول ابن عربى:

كـل بـــدر إذا تـنـــاهـى كـمـالا ... جـــاءه نـقـْصه لـيـكـمـل شـهـرا
غـيـر هـذى فـمـا لـــهـــا حـركـات ... فـى بـروج فـمـا تشفع وترا (٣٠٩)

ويقول:

طـلـع الـبـدر فـى دُجَى الشـعـر ... وسَقَى الـورد نـرجـس الحـور
غـادة تـــاهـت الحـسـان بـــهـــا ... وزهَا نـورهـا عـلـى القـمـر (٣١٠)

ويقول:

هيْهات ليس لهُمْ معنى سوى خلدى ... فحيث كنت يكون البدر فارْتقب (٣١١)

ويقول:

تعاليتَ مِن بـدر على القطب طالـع ... وليس لـه بعـد الطلـوع أفـول (٣١٢)

---

(٣٠٧) ديوان الحقائق ج ١ ص ٣٣٩.
(٣٠٨) ديوان الحقائق ج ٢ ص ٢٣٢.
(٣٠٩) ذخائر الأعلاق ص ٢٠٨.
(٣١٠) ذخائر الأعلاق ص ٢٢١.
(٣١١) ذخائر الأعلاق ص ٢٢٩.
(٣١٢) ذخائر الأعلاق ص ٢٥٣.

٤ ـ الهلال:

الهلال لفظ مفرد، وجمعه أهِلَّه (على القياس) وأهاليل (نادرة). . وهو غرة القمر، ويُسَمَّى هِلالاً لليْلتيْن من أوّل الشهر، أو إلى ثلاث لَيَالٍ أو إلى سبْع لَيَال، ولليْلتين من آخر الشهر، أى من ليلة ست وعشرين، وسبع وعشرين منه إلى آخره. وفى غير ذلك هو القمر.

هذا وقد ورد لفظ الأهِلَّة فى القرآن الكريم فى قوله تعالى:

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ﴾(٣١٣).

وبهذا المعنى القرآنى وبمعان أخرى رمزية ومجازيّة تشير إلى الجمال الإلهى، والتجليات الربّانية(٣١٤) وغيرها ـ ورد ما يلى:

يقول سيدى النابلسى:

أنا شمسهم والنور يبْدو ... لى بهم فى بدر
حب الهلال ورتبة القمـ ... ـر الذى فى الأفق يجرى (٣١٥)

ويقول آخر:

سفرتْ عن الوجه الجميل فأسْفرا ... فبدا هلالُ الحسْن منها مقْمرا
ودنتْ فكاشفت القلوبَ بسرها ... فسقت شراب الوصْلِ منها كوْثرا
فشربتُ راحَ الروح كأسًا مترعا ... ولبستُ سِرَّ الحسن ثوبًا أحْمرا
ورأيتُها فى كل شىءٍ أبصرت ... عيناى حتى صرتُ كُلِّىٍّ مبصرا (٣١٦)

ويقول ابن عربى:

ما ظلعتْ أهِلَّة ... بأفق ذاك المطلع

---

(٣١٣) سورة البقرة ـ الآية ١٨٩.

(٣١٤) ذخائر الأعلاق ص ١٦١.

(٣١٥) ديوان الحقائق ج ١ ص ٢٢٣.

(٣١٦) مشارق أنوار القلوب ص ٦٣.

إلا وَدَدْتُ أنّهـــــــــــا من حـذرٍ لم تـطلـع[٣١٧]

٥ ـ النجـوم والكـواكـب:

النجم لفظ مفرد، جمعه نُجُوم وأنْجُم، وأنْجام، ونُجمْ، ومعناه عند التقييد: الكوكب، وعند الإطلاق: الثريا. . علمًا بأن الكوكب لفظ مفرد جمعه كواكب، ويطلق لفـظ الكوكبة على النجـوم، وعلى الزهرة[٣١٨]. وقد ورد لفظ الـنجوم والكواكب فى عدد من الآيات القرآنية منها قوله تعالى:

﴿ وَعَلَـٰمَـٰتٍ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾[٣١٩].

وقوله تعالى:

﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝ ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ ﴾[٣٢٠].

وقوله تعالى:

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَـٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾[٣٢١].

وقوله تعالى:

﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴾[٣٢٢].

وقوله تعالى:

﴿ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ ﴾[٣٢٣].

---

(٣١٧) ذخائر الأعلاق ص ١٦١.

(٣١٨) مادة (نجم) و(كوكب) ـ راجع المنجد.

(٣١٩) سورة النحل ـ الآية ١٦.

(٣٢٠) سورة الطارق ـ الآيتان: ٢و٣.

(٣٢١) سورة الأنعام ـ الآية ٩٧.

(٣٢٢) سورة الواقعة الآية ـ ٧٥.

(٣٢٣) سورة النور الآية ـ ٣٥. وراجع معانى كلمة (مباركـة) واستِعْمَالاتها فى الغنية للجبلانى ج ١ ص ١٨٩ طبع ١٣٧٥هـ..

وقوله تعالى:

﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا﴾(٣٢٤).

وقوله تعالى:

﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ﴾(٣٢٥).

وقوله تعالى:

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ﴾(٣٢٦).

هذا، والصوفية وإن استعملوا لفظى الكواكب والنجوم فى معانيهما الأصْلية فقد استعملوهما كذلك فى معانٍ رمزية ومجازيّة عنوا بها النّور المطلق، وقد يُراد بالنجم عنْدهم حفْظ ما تحمله العلوم فى تعقُّلاتها على اخْتلاف ضروبها(٣٢٧).

وقد ورد فى شعرهم عن ذلك مايأتى:

يقول سيدى النابلسى:

ثلاث عليها يدور ... وجود وحق ونور

وطورًا نرى هكذا ... نجوم شموش بدور (٣٢٨)

ويقول:

وهل نور النّجوم يلوح إلاّ ... على مقدار إدْراك المآقى (٣٢٩)

ويقول سيِّدى الشيخ قريب الله:

يلوح من الشّرق المقدّس كوْكب ... عسى رحمة جاءت وإشراق موكب (٣٣٠)

---

(٣٢٤) سورة الأنعام ـ الآية ٧٦.

(٣٢٥) سورة الصافات ـ الآية ٦.

(٣٢٦) سورة الانفطار ـ الآيتان: الأولى والثانية.

(٣٢٧) ذخائر الأعلاق ص ٨٢.

(٣٢٨) ديوان الحقائق ج ١ ص ٢٣٠.

(٣٢٩) ديوان الحقائق ج١ ص ٣٤٢.

(٣٣٠) رشفات المدام ص ٣١.

ويقول ابن عربى:

فياراعى النجم كن لى نديمًا ... وياساهر البرق كن لى سميرا [٣٣١]

ويقول النابلسى:

زينة الله فى العوالم رمْز ... وهى من عين عين عينك غمز

طالعات نجومها فى وجوه ... أسفرت أو تعبت تستفز [٣٣٢]

ويقول النابلسى أيضًا:

فإلى كم ترى نجوم البرايا ... هات قل لى: متى ترى ضوء شمسى [٣٣٣]

ويقول النابلسى:

ولسين السماء ماء مضاف ... لحياة النفوس بالإنفاس

وهى حرف لها انحراف المعانى ... وحشة أدمجت مع الإيناس

سطعت فى الورى نجوم هداها ... فتراءت لراسخ القلب راسى [٣٣٤]

٦ ـ البرق:

البرق نور يلمع فى السماء على إثْر انْفجارٍ كهْربائى فى السحاب، وقد أكثر الصوفية من الإشارة إليه بمعناه الأَصلى تارة، وبمعان رمزية تارة أخرى، وقد عنوا بها الأثر الإلهى فى الخلق، والوجود المجازى فى الكون، والفيض الإلهى على العباد، وقد يُطلق عندهم على التجلى الإلهى، وعلى الشهود الذاتى، وعلى الروح الإنسانية[٣٣٥]. . وبهذه المعانى المذكورة وبغيرها وردت النماذج الآتية:

---

(٣٣١) ذخائر الأعلاق ص ٨٢.

(٣٣٢) ديوان الحقائق ج ١ ص ٢٥٩.

(٣٣٣) ديوان الحقائق ج ١ ص ٢٦١.

(٣٣٤) ديوان الحقائق ج ١ ص ٢٦٧.

(٣٣٥) المنجد وذخائر الأعلاق ص ١٥٢/ ٧٥/ ١٢٠.

يقول ابن عربى:

فأبدت ثناياها وأومض بارق ... فلم أدْرِ مَنْ شقَّ الحنادس منْهما (٣٣٦)

ويقول سيدى النابلسى:

أنا البرق اللموع وأنت أيْضًا ... ولكن أنت لم تشهد وميضا
إلى كم أنت فى كمه فإنِّى ... أرَى العليا وأنت ترى الحضيضا
وهذا الفرق بينك قل وبينى ... لحالك لم يزل حالى نقيضا (٣٣٧)

ويقول النابلسى:

ياخليلى هذه هى سلْمى ... نحنُ عنها كالبرق فى الإيماض (٣٣٨)

ويقول النابلسى:

رويْدك أيها البرق اللموع ... فإنَّ غروب ضوئك لى طلوع
ترفرف لمحة وتغيب أخْرى ... فتعسفك الأماكن والربوع
ألاهلْ أنت بهجة وجْه سلْمى ... بدتْ فتحيّر القلب الولوع
أم ابْتَسَمْت عشية ودّعتْنا ... فجاد بكوننا الثغر المنوع (٣٣٩)

ويقول ابن عربى:

رأى البرق شرقيًّا فحنَّ إلى الشرق ... ولو لاح غربيًّا لَحَنَّ إلى الغرْب
فإن غرامى بالبريق ولمحة ... وليس غرامى بالأماكن والترب (٣٤٠)

---

(٣٣٦) ذخائر الأعلاق ص ٢٧ .

(٣٣٧) ديوان الحقائق ج ١ ص ٢٨٠ .

(٣٣٨) ديوان الحقائق ج ١ ص ٢٨٢ .

(٣٣٩) ديوان الحقائق ج ١ ص ٣١٠ .

(٣٤٠) ذخائر الأعلاق ص ٦٥ وراجع فى نفس الصفحة وفى ص ٤٤ ما جاء عن الفرق بين رؤية الحق فى الخلق ورؤية الخلق فى الحق .

ويقول النابلسى:

وما البرق إلاّ نحن إذْ نحن أمْره ... هو القَدَرُ المقدور فى الذكر قد تُلِى [٣٤١]

ويقول سيدى النابلسى:

أيها البرق اللّموع ... لك من نجد طلوع
تختفى طورًا وتبْدو ... فتواريك الربوع
لم يزل لى بك وجْد ... وهيام وولوع
أنت هذا الجسم مِنّى ... أنتَ قلبى والضلوع
وقيامى وقعودى ... وسجودى والرُّكوع [٣٤٢]

ويقول:

يا بريق الغور قف نفسًا ... قد خطفت القلب والحدقا
إن تجز يومًا بذى سلم ... قل لهم: جودا ببعض لقا [٣٤٣]

ويقول:

كلما أومضت بروق رباهم ... هطل القطر من عيون البواكى [٣٤٤]

ويقول:

خاطب بروق الروابى تكف عنِّى وميضا ... فإنها خطفتنى بذلك اللمعان
وقل لنَسمة ذاك الحمى تجود علينَا ... بطيب ورد وإلاّ بنفحة الريْحان [٣٤٥]

ويقول:

جميع البرايا هى اليلْمع ... وبرق الوجود بها يلمع

(٣٤١) ديوان الحقائق ج ٢ ص ٤٥.
(٣٤٢) ديوان الحقائق ج ١ ص ٣١٤.
(٣٤٣) ديوان الحقائق ج ١ ص ٣٣٨.
(٣٤٤) ديوان الحقائق ج ٢ ص ٨.
(٣٤٥) ديوان الحقائق ج ٢ ص ١١٦.

وما ذلك البرق غير الذى هو الأمر فى لمحة مُسرع
به الأرض قامت كذا والسَّما فيخفض هذا وذا يرفع (٣٤٦)

ويقول النابلسى:

بروق الحىّ لمَّاعه ونفس الصَّبِّ طمّاعه
وكتمان الهوى طاعه ولكنْ هذه السَّاعه

* * *

رأيْنَا وَجْه مَنْ نَهْوَى ومنَّا حفت الدَّعْوى
ونلْنَا الرُّتْبَةَ القُصْوى وأبْدَى النور شعشاعه
ترنّم أيُّها الحادى أنا فى يَمْنَةَ الوادى
ولْمع البْرق لى بادى ودنْيا الغير خدّاعه (٣٤٧)

ويقول النابلسى:

إنّ هذا الضيّا وهذا البريقا
لليْمى فاسلك إليْها الطريقا
وإذا الكون أظْهر التزْويقا
لا تروقنَّك الرياض الأ نيقا ت فمن دونها ربا ودخول (٣٤٨)

ويقول سيدى الشيخ قريب الله:

وإنْ برقت بالشرق منه بوارق أضَاء لها الشرق المقدس والغرب (٣٤٩)

ويقول سيدى النّابلسى:

وبرق الحمى هذا الوجود وميضه ولكن بما تجنيه تعمى البصائر (٣٥٠)

(٣٤٦) ديوان الحقائق ج ١ ص ٣١٦.
(٣٤٧) ديوان الحقائق ج ١ ص ٣١٩.
(٣٤٨) ديوان الحقائق ج ٢ ص ٥٠.
(٣٤٩) رشفات المدام ص ٢٨.
(٣٥٠) ديوان الحقائق ج ١ ص ٢٠٢.

ويقول النابلسى:

فهمت بوجدى إذْ فهمت رموزه ... فها أنا للبرق اللموع أسَايِرُ [٣٥١]

ويقول النابلسى:

رأينا نورَه أشرق ... فكنّا برْقه الأبْرق

ولا نجد ولا أبرق ... سوى الإ بريق والكوب [٣٥٢]

ويقول النابلسى:

علقت بمن أهواه عشرين حجة ... ولم أدْرِ مَنْ أهْوَى ولم أعْرِف الصبرا

إلى أنْ تَراءَى البرق من جانب الحمى ... فنعمنى يومًا وعَذَّبنى دهْرا [٣٥٣]

ويقول سيدى الشيخ قريب الله:

وتبصر لامعا يسبى بلمْع ... وفى الملكوت تسمع للنِّداء [٣٥٤]

ويقول:

هذه الكائنات أمْ هى حانة ... أسْكرتنا كئوسها الملآنَهْ

أمْ هو البرق بْرقُ نور التجلى ... خاطف كلّ من رأى لمعانه [٣٥٥]

ويقول:

عليك بروحك السر الإلهى ... إلى كم أنت عن ذا السرِّ لاهى

وروحك يَا بْنَ آدم ليس تفنى ... وتلك لك البقاء بلا تناهى

هى البرق اللموع خلال بيت ... بنته بالتراب وبالمياه

---

(٣٥١) ديوان الحقائق ج ١ ص ٢١٩.

(٣٥٢) ديوان الحقائق ج ١ ص ٧٣.

(٣٥٣) ديوان الحقائق ج ١ ص ٢٣٢.

(٣٥٤) رشفات المدام ص ١٦.

(٣٥٥) ديوان الحقائق ج ٢ ص ١٩١.

وأنت الروح وهى عليك جاءت ملبسة من الأمر الإلهى [٣٥٦]

ويقول ابن عربى:

بالجزع بين الأبرقين الموعد فأنخ ركائبنا فهذا المورد
لا تطلبنَّ ولا تنادى بعده يا حاجرٌ، يا بارقٌ، يا ثهْمدُ [٣٥٧]

ويقول النابلسى:

كلما شمتُ بريقًا لامعًا من حمى نجْدٍ شوانى الشّوق شى [٣٥٨]

ويقول النابلسى:

شمس منها برق الهدى فى ظلام هو كونى بنورها المرشوش [٣٥٩]

ويقول:

عفيف الذيل لا تطْمع بوصلٍ إذا لم تفن فى البرق اللموع [٣٦٠]

ويقول ابن الفارض:

أبَرْقٌ بدَا من جانب الغوْر لامع أم ارْتفعت عن وجْه ليلى البراقع [٣٦١]

ويقول غيره:

رأى البرقَ مجتازًا فبات بلالبٍّ وأصْباه من ذكرِ المليحة مايُصبى
وقد عاج فى أطْلالها غير ممْسك لدمع ولامصْغ إلى عَذَل الركب
وكنت جَدِيرًا حين أعرف منْزلا لآل سُليمى أن يُعنِّفنى صحبى

---

(٣٥٦) ديوان الحقائق ج ٢ ص ٢٠٥.

(٣٥٧) ذخائر الأعلاق ص ١٥٢/ ١٥٣.

(٣٥٨) ديوان الحقائق ج ٢ ص ٢٣٠.

(٣٥٩) ديوان الحقائق ج ٢ ص ٢٤٥.

(٣٦٠) ديوان الحقائق ج ٢ ص ٢٤٧.

(٣٦١) كشف السر الغامض للنابلسى ج ١ ص ٢٦.

عَدَتْنَا عـوادى البُـعْـد عـنـها وزادنـا بهـا كـلَـفا أن الـوداع على عـتْـب
وبـى ظـمـأ لايـعـرف المـاء دفـعَـه إلى نهْلة من ريقها الخصر العذب [٣٦٢]

٧ ـ الشمعة:

الشمْع جمع، مفرده شَمَعة (بفتح الميم وسكونها)، وهو وإنْ كان فى الأصل بمعنى موم العسل، أو الشّحم، أو غير ذلك مما يُدبر ليُـتضَاء به[٣٦٣]... إلا أنّ الصوفية حين استعملوه قصدوا به الروح الواردة فى قوله تعالى:

﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾[٣٦٤].

كما قَصَدوا به الفِطْرة الإنْسانية السليمة، والقابلية الأصلية الطاهرة، وبهذا المعنى الرمزى وردت النماذج الآتية وغيرها:

يقول سيدى النابلسى عن الشمعة بمعنى الروح:

يـا شمعة هـى فـى كـل الفوانيـس يخالف العقـل هذا فى التقاييس[٣٦٥]

ويقول سيدى النابلسى عن نفس المعنى:

شمعة الـنـور لم تـزلْ فـى اشتعال وعليها الجـمـيـع كـالـفـانـوس [٣٦٦]

ويقول سيِّدى النابلسى عن نفس المعنى أيضًا:

شمْعتـى أشـرقـت بـنـورك ربّـى وعـلـيْـها حـواسـدى كـالفـراش

---

(٣٦٢) مشارق أنوار القلوب ص ٣٦، ولمزيد من النماذج راجع رشفات المدام ص ٣٥/ ٣٧/ ٤٢/ ٦٣/ ٧٢/ ٨١/ ٨٦/ ٩٦/ ١١٤/ ١٣٩/ ١٤٢/ ١٤٤/ ١٥٦/ ١٧٠/ ١٨٦/ ٢٠٤/ ٢٢٥/ ٢٣١/ ٢٣٤/ ٢٤٧/ ٢٥٠/ ٢٥١/ ٢٦٥/ ٢٦٩/ ٢٧٣/ ٢٨٧/ ٢٩٨/ ٣٠٠/ ٣٠٨/ ٣١٧/ ٣٦٥/ ٣٦٦/ ٣٧٢/ ٣٨٩/ ٣٩٣.

(٣٦٣) المنجد، وفيه أن الموم هو الشمع. راجع مادتى (شمع) و(موم).

(٣٦٤) سورة الحجْر ـ الآية ٢٩.

(٣٦٥) ديوان الحقائق ج ١ ص ٢٦٥.

(٣٦٦) ديوان الحقائق ج ١ ص ٢٧١.

كلّما حاولوا بأنْ يُطفئُونى حُرقوا بى فكان أمرىَ فاشى
وأضَاءت بالحقِّ أنوار شمسى فرأوْنى بأعين الخفاش (٣٦٧)

ويقول كذلك وبنفس معنى الروح:

يا حبيبَ القلوب أشكوك منِّى شغفًا فى فؤادى الموجوع
أعْطشتنا الأغيار فأصْبِغ دجاها بشعاع من نور تلك الشموع (٣٦٨)

ويقول النابلسى عن نفس المعنى الرمزى الذى يقصد به الروح الإنسانى:

يا أمة العشق فُزْتم بالبصر والسمع قوموا اتركوا الفرق عنكم واقبلوا للجمع
نور الشّموع الذى يلمح عليكم لمع من حرقة القلب قد سالت دموع الشمع (٣٦٩)

ويقول:

كم صورة فى قطعة الشمع مفيدة للفرق والجمع
يظهر صانعها سُرْعة فتبهر الأبصار باللمع
وتختفى ثم يرى غَيرها يضحك أو يبكى بلا دمع
وكلها فانية لا ترى هناك إلاّ قطعة الشمع
فاعتبروا فِعْلَ الوجود الذى أنتم به المنصوص فى السمع (٣٧٠)

ويقول:

ليْلة القدر ليْلة الجمْع فى بصرى شاهد وفى شمعى
من غير فرق لدى بصائرنا بيْن جماد وبيْن ذى لمع

---

(٣٦٧) ديوان الحقائق ج ١ ص ٢٧٤.
(٣٦٨) ديوان الحقائق ج ١ ص ٣١٥.
(٣٦٩) ديوان الحقائق ج ١ ص ٣١٧.
(٣٧٠) ديوان الحقائق ج ١ ص ٣١٨.

ذا القدر ذاك الذى الضّمير له ... ينزل من غَيبه إلى الجمْع
وكل من نفسه يشاهدها ... فيه يرى صورة من الشّمع
حقيقة أضحكت أحبَّتَها ... والغير أبكته زائد الهمع
فدمعةٌ فى السرور باردةٌ ... وفى الأسَى الحرُّكان فى الدمع (٣٧١)

(هـ) اللّيْل:

الليْل لفظ مفرد يُذكَّر ويؤنَّث، وجمعه اللّيالى بزيادة الياء على غير قياس، ويقال أيْضًا لياثل، وقيل: الليْل واحد بمعنى جمع، واحدته ليلة، مثل تَمْر وتمرة. وقيل: الليل مثل الليلة، كما يقال العشى والعشية. ومفهوم الليل فى اللغة من مغرب الشمس إلى طلوع الفجر، أو إلى طلوع الشمس. ويقال: الليل النّهار، وعنهما ورد قوله تعالى:

﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ﴾(٣٧٢).

هذا وقد فضل الدين قيام الليل، وكان مما جاء عنه فى القرآن الكريم، قال تعالى:

﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾(٣٧٣).

وقال تعالى:

﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ﴾(٣٧٤).

وقال تعالى:

﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا﴾(٣٧٥).

---

(٣٧١) ديوان الحقائق ج ١ ص ٣١٩.
(٣٧٢) سورة الإسراء ـ الآية ١٢.
(٣٧٣) سورة السجدة ـ الآية ١٦.
(٣٧٤) سورة الزمر ـ الآية ٩.
(٣٧٥) سورة الفرقان ـ الآية ٦٤.

وجاء عن الليل فى الحديث النبوى الشريف:

«عليكم بقيام الليل فإنّه دأب الصّالحين قبْلكم، فإنّ قيام الليل قُربة إلى الله عز وجل، وتكفير للذنوب ومَطْرَدَة للداء عن الجسد، ومنهاة عن الإثم»(٣٧٦).

و«أفضل الصلاة بعد المكتوبة قيام الليل»(٣٧٧).

وانطلاقًا مِمَّا تقدم عمل الصوفية على إحْياء اللّيْل بالدعاء، والذكر، والقراءة، والفكر... واستعملوا اللفظ ذَاتَهُ، بمعنى رمزى يشير إلى الجدّ فى السّيْر، والعزيمة الصادقة فى الإقبال على الله، وبظهور العلوم الغيبية من قلوب العارفين، وكنّوا بظلام الليل عن حجاب القلب الذى هو وجود الجسم الكثيف؛ و(بالسّرى) عن الأسرار، والكتم، وعدم الكشف...

وكان مما ورد عنهم فى ذلك ما يأتى:

يقول ابن عربى:

سروا وظلام الليل أرخى سُدُولَهُ فقلتُ لها: صَبًّا، غريبًا، مُتَيَّمَا (٣٧٨)

ويقول النابلسى:

إنَّ أحبابنا وهم سادة الحَىِّ
هجروا بعد وصْلهم مُغْرمًا عىّ
وعلى البعد مُذ لوى ركبهم لىْ
لمعت نارهم وقد عسْعس الليْـ ـلُ وملّ الحادى وتاه الدليلُ
جنّ عقْلى بهم إذا الليل جنّا
والحَشا كلما تذكّر حنّا
ليْتَ شعْرى كيف السُّلُوُّ وأنَّى

(٣٧٦) إحياء عُلوم الدين ص ٦٣٦.

(٣٧٧) إحياء علوم الدين ص ٦٣٨.

(٣٧٨) ذخائر الأعلاق ص ٢٦/ ١٨٥.

وفـؤادى هـــو الفـؤاد المـعـنّى وغرامى ذاك الغـرام الـدّخـيـل [٣٧٩]

ويقول ابن المبارك:

إذا مـا الـلـيْلُ أظـلـم كـابَـدُوه فـيُسْـفر عـنْـهـمُ وهـــم رُكـوعُ
أطـار الخـوفُ نـومَـهُـمُ فـقـامـوا وأهْـلُ الأمْـنِ فى الدنيا هجوع [٣٨٠]

ويقول سيدى الشيخ قريب الله:

وفجـر الـوصـْل يـطلع بـعـد لـيْـلٍ وتطلـع بـعـده شمس الضُّحاء [٣٨١]

ويقول ابن الفارض:

وكل اللـيـالى لـيـلة القـدر إنْ دَنَـتْ كمـا كـل أيـام اللُّقَا يوم جمعة [٣٨٢]

ويقول ابن عربى:

أيـــا راقـــد اللـيْـل هُـنِّـئْـتَـه فقبْل الممات عَـمَّـرْتَ القُـبـورا [٣٨٣]

ويقول ابن عربى:

يـطـلـع اللـيْـلُ إذا مـــا أَسْـدَلَـتْ فـاحـمـا جـثـلا أثـيـثًـا غـيْهبا [٣٨٤]

(و) الطِّيب:

للمفهوم الرمزىِّ للطِّيب عند الصّوفية معنًى يخالف سَمِيَّه عند الغواة، ذلك أنّ قوة إيمان هؤلاء العبَّاد وعزيمتهم الصادقة فى الإقبال على المولى، وجهادهم الدائم المستمر فى الـتقرب إليه بالفرائض، والتحـبـب لديه بالنوافل، جعلهـم يستنْشقون رائحة القرب منه، ونـفحات روضة الأنس به، وعبير سر التعرف عـليه، فطفقوا

(٣٧٩) ديوان الحقائق ج ٢ ص ٤٥ ـ ٤٦.
(٣٨٠) إحياء علوم الدين ص ٦٤٢.
(٣٨١) رشفات المدام ص ١٦.
(٣٨٢) ديوان ابن الفارض بيروت ١٨٨٧م ص ٦٣.
(٣٨٣) ذخائر الأعلاق ص ٨٣.
(٣٨٤) ذخائر الأعلاق ص ١٨٥.

يُرسلون من التعبيرات مايشعر بسيطرة المعرفة الإلهية على كل عقولهم، وحواسِّهم مع علمهم بمحدودية ماحصلوا عليه منها، أو أُتْحِفوا به من بحارها . . .

وعن ذلك يقول سيدى النابلسى:

طابت فطيبتُهَا تفوح بطيِّها ... فى وردة الأكوان من منشورها (٣٨٥)

ويقول سيدى الشيخ قريب الله:

ويعبق من رياض القرب عطْر ... بنشقته سينْهض كل نـاء
هو الإيمان للأرواح قُوتٌ ... ومعراج إلى أوْج العلاء (٣٨٦)

ويقول أيضًا:

وإن فاح عَرْف من هناك فقد بدا ... لسرك معنى لا تفيدُكَه الكتب (٣٨٧)

ويقول:

وإن شمّ معلولٌ روائح لُطفه ... عدا جسمه سقم ولازمه الطب (٣٨٨)

ويقول:

ألا أوصلونا ولا * تفْصلونا ألاَ * بشِّرونا بحسن اللحاق
ألا فادخلونا كذا * ضمّخونا ألاَ * بخِّرونا بطيب العناق (٣٨٩)

ويقول النابلسى:

أطلق الكأس بعد طول احتباس ... واسْقنيها ما بيْن ورد وآس
خمرة كأسها الستُ قديمًا ... وحديثاً عقلى وكل حواسى (٣٩٠)

---

(٣٨٥) ديوان الحقائق ج ١ ص ٢٥٤.
(٣٨٦) رشفات المدام ص ١٧.
(٣٨٧) رشفات المدام ص ٢٧.
(٣٨٨) رشفات المدام ص ٢٨.
(٣٨٩) رشفات المدام ص ٢٥٧.
(٣٩٠) ديوان الحقائق ج ١ ص ٢٦٩.

ويقول:

سبقت قبلنا أناس إليها غرستهم فيها أتمَّ غراس
فتحوا باب ديْرها فشممْنا نفْحة المسك من فم الشماس
وسكرْنا براهب الديْر لمّا هبّ منها معطّر الأنْفاس (٣٩١)

ويقول:

وريح المسك فى الصّندوق يفشو ويُعرْف منه قَدْر الانتشاق (٣٩٢)

(ز) المنادمة:

المنادمة فى الأصْل المجالسة على الشّراب، وحالُها ضرب الأمثال وإيراد الحكايات، والأخبار، والنوادر، والأشعار بين النديمين.(٣٩٣) . . . . . والنديم والنديمة هو الرفيق والصَّاحب، أو المنادم على الشراب، وتُجمع الكلمة على ندام، وندماء، ونُدْمان. . قالوا: وإنّما أُطلق على مُشَارِب الخمر نديم (من النّدامة)، لأنّ مُعاقر الكأس إذا سكِرَ تكلّم بما يندم عليه، وفعَل ماينـدم عليه، وقيل لمن شاربه: نادمه، لأنّه فعل مثْل ما فعله فهو نديم له، كما يقال جالسه فهو جليس له، والمعاقر: المدْمِن، كأنه لزم عَقْرَ الشىء، أىْ فناءه(٣٩٤).

هذا هو معنى الكلمة فى الأصل، مع مالحق ذات اللفظ من مفهوم بعد أن حرَّمَ الإسلام الخمر، علمًا بأن القرآن الكريم أشار لمعنى المنادمة لا للفظها فى عدد من الآيات، كان منها قوله تعالى:

﴿ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَاكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن

(٣٩١) ديوان الحقائق ج ١ ص ٢٧٠.
(٣٩٢) ديوان الحقائق ج ١ ص ٣٤٢.
(٣٩٣) ذخائر الأعلاق ص ٨٢.
(٣٩٤) المنجد، والعقد الفريد ج ٨ ص ٥٣.

مَعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ
ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَآئِلٌ
مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴾(٣٩٥).

وقوله تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ
ٱلْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ
وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ
أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾ وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ
﴿٢٢﴾ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ
مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴾(٣٩٦).

انْطلاقًا مما تقدم من مفهوم للمنادمة على الخمرة المحرّمة فى الدنيا، والمشوق لسَمِيَّتها فى الآخرة، عمل الصوفية على استخدام معنى ولفظ المنادمة، بعْد أنْ أضفوا على اللفظ معنًى طاهرًا، وبيئة صالحة تشبه تلك التى أشار إليها القرآن الكريم فى آياته المذكورة أعلاه.

وكان مما ورد عنهم فى معنى النديم بمعنى السالك والمصاحب مايلى:

يقول النَّابلسى:

يا نديمى بحانة الغيْب إنّ الغيـ ... ـب كالعيْن لم يزل نضّاخا
فاملأ الكأسَ لى ولا تترنّم ... بسوى مَنْ به السِّوى فيه ساخا
وأتى أمْره إلىَّ بروح ... قام فى زمر نشأتى نفاخا
وأنا اليوم عنده فى مقام ... مطرب كل من إليْه أصاخا (٣٩٧)

(٣٩٥) سورة الصّافات ـ الآيات من ٣٩ ـ ٥٢.
(٣٩٦) سورة الطور ـ الآيات من ١٧ ـ ٢٥.
(٣٩٧) ديوان الحقائق ج ١ ص ١٣٦.

ويقول:

اسْقِنى من مُدامة القدّوس ... فهى ملءُ الدِّنان ملءُ الكئوس
وأدرْها علىَّ بيْن النّدامى ... من قيام بسكرها وجلوس
صرف راح بشُربهاكم أُميتتْ ... مِنْ نفوس وأُحْيَيتْ منْ نفوس
بكر دنٍّ عبيقة قد أعادت ... بالتدابير عهد (جالينوس)
قام يسْعى بها المليح علينا ... ذو محيًّا يفوق ضوء الشموس
فخرجنا بنشأة الكر منها ... عن جميع المعقول والمحسوس (٣٩٨)

ويقول النابلسى أيضًا:

عنْدى جميع الخلق عيْن الأمر ... مذ راق فى الكاسات صرف الخمر
والحب فيه طاب طول العمر ... فافخربه فى موكب العشّاق (٣٩٩)

ويقول:

لو تجلى عن ناظريْك الغبارُ ... لرأيت الكئوس كيف تُدار
وتبدّت فريدة الحسن تجلى ... زائلات عن وجهها الأستار
ورأيت الهدى وأرشدك الدّ ... فّ وصوت الغناء والمزمار
فاجتهد واقصد الحقيقة واطلب ... ولتكن فيك هِمَّة واصطبار
وتذلّل بباب ديْرك واخضع ... فعسى أن يُريدك الخمار (٤٠٠)

ويقول:

قُمْ بنا نشْرب كاسات الوصال ... بين أنواع جمالٍ وجلال

(٣٩٨) ديوان الحقائق ج ١ ص ٢٧١.
(٣٩٩) ديوان الحقائق ج ١ ص ٣٤٦.
(٤٠٠) ديوان الحقائق ج ١ ص ٢٠٣.

كم رقود تحْتَ أسْتار الخيال ... لاحت الشّمس اختفى ضوء الشموع
عاذلي بالله خلِّ الالتباس ... واخْلع الأكوان وانْزع ذا اللباس
وتناول لي من يد المحبوب كاس ... خمرة الأرواح بل برق لموع (٤٠١)

ويقول:

أزِلْ نَوْمي بشدْوك يا نديمي ... وأبْدل لي خلافك بالوفاق
وحَيّ على المنى يا بْنَ المعانى ... ولا تفتن بألفاظ رقاق
وخذْ منِّي وناوِلْني إلى أنْ ... ترانى قد وصلت إلى التراقى
هنالك تضمحل به رسومى ... وأذهب بانسحاقٍ وانمحاق (٤٠٢)

ويقول:

سقانى الكاس من نفسى ... وفيه خَمْرة الأرواح
فكرى كان عن حسِّى ... وعن عقلى وعَمَّا الاح
وقد أخرجت من حَبْسى ... إلى إطْلاق ساقى الراح (٤٠٣)

ويقول:

أَسْقِنى ندامای من كأسى وأشرب ما ... أبْقوه فى الكأس لى من خمرى الباقى
فكنت آخرهم شرْبًا وأوّلهم ... سُكْرا بما تركوا من بهْجة الساقى
هذا المدام وهذا الكأس ممتلئ ... من المدام إلى أطراف أطواقى
إن الكرام بحسن الظن قد شربوا ... وسوء ظنك حرمان لرقْراق (٤٠٤)

---

(٤٠١) ديوان الحقائق ج ١ ص ٣٠٩.
(٤٠٢) ديوان الحقائق ج ١ ص ٣٤٢.
(٤٠٣) ديوان الحقائق ج ١ ص ٣٤٤.
(٤٠٤) ديوان الحقائق ج ١ ص ٣٥٣.

ويقول:

ساقى ياساقى * اسقنى من خمره الباقى * واكشف لى عن قيْد إطلاقى
افتح باب الحان * واسمِعْنى من طيب الألحان * وارشفنى من كأسى الملآن
فى دور الكاسات * قد غابت إخوانى السادات * والخمار محمود العادات
من يشرب يسكر * من خمرى لما يتفكر * والمغرور فى علمه أنكر
لا يعرف أمرى * إلا من يشرب من خمرى * أحشاؤه تصلى فى جمرى[٤٠٥]

ويقول النابلسى:

قم بنا يا نديم * إنَّ خمرى قديم * كأسه تستديم
لطف عيْشى بذاك * ومناى هناك [٤٠٦]

ويقول:

قم بنا إلى الندمان * فى الحان يا صاح * ندرك الصفا بالراح
واستمع من العيدان * ألحان أقداح * لى أتت بها الأفراح
طاب لى بها كأسى * لان قلبها القاسى [٤٠٧]

ويقول:

خُذْ نديمى أطوار نفسك ممن طاب فيه الشراب من كاساتك
وأَدِرْهَا عليك منك وعربد مع ذاك الحبيب فى خلواتك [٤٠٨]

---

(٤٠٥) ديوان الحقائق ج ١ ص ٣٦٠.
(٤٠٦) ديوان الحقائق ج ٢ ص ٥.
(٤٠٧) ديوان الحقائق ج ٢ ص ٦.
(٤٠٨) ديوان الحقائق ج ٢ ص ٧.

ويقول:

خذ الكأس منّى يا بن وُدِّى فإنَّه ... روى بهذا فليكن عندك الحزم
ومِلْ طَرَبًا فى النشأتين بِشربه ... فإن شرابى للضّلال به هضْم
شراب طهور فى كئوس نظيفة ... كريم به السّاقى ومنه العطا الجمّ
على رنّة الأسماء دام مدامنا ... وإن نَمَّق الزورَ الوشاةُ وإن نمّوا
وفى مقعد الصِّدق العزيز مناله ... تجلّت لناذات وفعل بداواَسْم (٤٠٩)

ويقول النابلسى:

خليلىّ قوما بنا للحمَى ... عسانا نرى الرشأ الأهْيفَا
وعوِّجا على سفح ذاك اللوى ... وإنْ جئتما دار سلمى قفا
فإنّى مشوق كثير الجوى ... عسى الحِبُّ بالوصْل أنْ يعْطفا (٤١٠)

ويقول:

قم للمدام أخا الغرا ... م وطف بنا فى كلِّ حان
واكْرع حميّا القدس مِنْ ... صور البريّة فى قنانى
واشرب معى بيد المدير ... ـر فحبَّذا أيْدى الحسان
وادْخل كنيسة ديْرها ... واعْكف على بنْت الدنان
مُتجرِّدًا عن كل ما ... يلهيك عن هاتيك فانى
واسكر بها مع كل شمَّا ... س يميل كَغُصْنِ بان
واسمع مثانيك التى ... تُتْلى على صوت المثانى (٤١١)

---

(٤٠٩) ديوان الحقائق ج ٢ ص ٨٨.

(٤١٠) ديوان الحقائق ج ١ ص ٣٢٧.

(٤١١) ديوان الحقائق ج ٢ ص ١٢٣.

ويقول سيدى الشيخ قريب الله:

قم يـا نـديم إلـى الأحـبَّة واسْقنى ... كـأسًـا معتّـقـة مـن الجـريـال
واجـلْ الفـؤاد مـن الـصّدا بعصابـة ... عصبوا الحجارة بالحشا بتوال (٤١٢)

ويقول السهروردى:

قـم يـا نـديـم إلـى المدام فهـاتـها ... فـى كـأسـهـا قـد دارت الأقـداح
مـن كـرم إكـرام بـدن ديـانـة ... لاخمرة قد داسـهـا الفلاح (٤١٣)

ويقول سيدى النابلسى:

يـا طـلـعـة الـسّاقـى ... مـن جانـب الأكـواب
يـزهـو بـإشـراق ... فـى حـضـرة الـديّـان
خـمـرى هنـا بـاق ... يُجلْى علـى الـنـدمـان
فـاسْكـربـه يـاصـاح ... أحـوال مبـصـوره (٤١٤)

ويقول:

قم لصـافى الكئوس وانْشـق شذاها ... يـا نـديمـى واستجل وجْـه العـروس
هـذه حـضـْرة المنـى والتّـهـانـى ... فاغنم الـسعد مذهبًا للـنحوس (٤١٥)

ويقول:

أيـهـا الـركـب هـذه دار سـلْمـى ... فَانْزِلُوهَـا مـاخـاب فـيـهـا النّـزيل
واسمعوا مـن فمن الـوجـود كلامًـا ... لا اعْـوجـاج بـــه ولا تحـويـل
واشـربـوهـا عـتـيـقـة جـدّدوهـا ... بـكـئوس مـزاجـهـا زنجـبـيـل

---

(٤١٢) رشفات المدام ص ٢٦٤.
(٤١٣) وفيات الأعيان لابن خلكان ج ٢ ص ٣٩٠.
(٤١٤) ديوان الحقائق ج ١ ص ٢٥٠.
(٤١٥) ديوان الحقائق ج ١ ص ٢٧٢.

هى سلمى وكلهم طالبوها وإليها كل القلوب تميل
ظهرت بالقدود منعطفات وبوجهْ كأنّه قنديل (٤١٦)

ويقول النابلسى:

مدام بها الأفراح دامت لأهلها ومن لم يذقها كل أوقاته غمّ
وقامَ بها السَّاقى وحىَّ فَسَاقَنا إلى موردٍ منها لذيذ به الطعم
إذا ما تراءت فى الكئوس بدالها شعاع له فى كلِّ ناحية نجْم
هى السر للأشياء والجهر دائمًا على عدد الأنفاس والبدء والختم
ألا حىَّ يا صاحِى على سكرة بها ودعْ عنك مَنْ هُمْ دونها عندهم وَهْمُ
وشقق بها الأثواب عنْك وكنْ بها مجرد عزم لايُقاس به عزم
إذا ما شربناها خفينا بنورها وعند طلوع الشمس ماللدجى رسْم (٤١٧)

ويقول النابلسى:

قديمة عهْد والحدوث حجابها غدونا لها ظَهْرًا فصارت لنا بطنا
هى الكَرْمُ والعنقودُ والعاصِرُ الذى له انتبت أيْضًا وبائعها غبنا
هى الحان والكاسات والطاس والطلا ودنّ الحميّا والذى صنع الدِّنَّا
هى القوم والسّاقى ومجلسنا على يمين الحمى الشرقى والروضة الغَنَّا
فإن شئت فاشربها من الكلِّ أو فخذْ من البعض كأسًاطعمه العذب ما أهنى (٤١٨)

ويقول غيره:

فكيف توانى الخلْقُ عنك وقد بدا جمال به قد هامت الألْبابُ

---

(٤١٦) ديوان الحقائق ج ٢ ص ٢٠.
(٤١٧) ديوان الحقائق ج ٢ ص ٨٦/ ٨٧.
(٤١٨) ديوان الحقائق ج ٢ ص ١٢٠.

فبعضهم أهدى وبعضهم ارْتدى وهأنت كاس بل وأنت شراب [٤١٩]

ويقول:

فادخلوا يا قوم روضى إنَّنى فى مقام فائح منه الشَّذَا
واشربوه كأس خمر من يدى وارضعوه لبنًا من ذا الثدى [٤٢٠]

ويقول الرقاشى:

نبهت ندمانى الموفى بذمته من بعد أتعاب كاسات وأقداح
فقلت: قم واسْقنى واشرب وغنِّ لنا يا دار مَثْوَايَ بالقاعين فالساح
فما حَسَا ثانيًا أو بعض ثالثة حتى استدار ورد الراح بالراح [٤٢١]

(ج) الطعام والشراب:

الطعام مصدر، جمعه: أطْعمة، وجمع الجمع: أطعمات، وهو فى الأصل ما يؤكل، ومعنى أكَلَ الطعامَ: تناوله وبلعه بعْدَ مضْغه، أمَّا الشراب فهو كل مايُشرب أو يُجرع أو يُروى منه، وتصريفه شرب يشرب شُربًا وشَرْبًا وشِرْبًا ومَشْربًا وتشرابًا. . .[٤٢٢] وبهذا المعنى المذكور للطعام والأكل والشراب، جاء قوله تعالى: ﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[٤٢٣].

وقوله تعالى: ﴿ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴾[٤٢٤].

هذا وقد استعمل الصوفية ألفاظَ الطعام والأكل والشراب وما يماثلها فى معنى رمزىٍّ مفاده الزاد أو التقوى؛ وهو معنى قرآنى وردت الإشارة إليه فى قوله

---

(٤١٩) قاموس الأناشيد ص ٣٠/ ٣١.

(٤٢٠) ديوان الحقائق ج ٢ ص ٢٣٢.

(٤٢١) شرح ديوان ابن الفارض جمع رشيد المجتنى ج ٢ ص ١٩٤.

(٤٢٢) المنجد.

(٤٢٣) سورة الطور ـ الآية ١٩ ـ والمرسلات ـ الآية ٤٣

(٤٢٤) سورة الشعراء ـ الآية ٧٩.

تعالى: ﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ ﴾(٤٢٥).

وَوَفْقَ هذا المفهوم الرمزى ورد مايأتى:

يقول النابلسى:

وماء شربناه، ولحمًا وخبزة ... أكلناه، واندارتْ بذاك ضروس (٤٢٦)

ويقول غيره:

أترضى أن تكون رفيق قوم ... لهم زاد وأنت بغير زاد (٤٢٧)

ويقول النابلسى:

روح تغذَّت بتقوى الله طيِّبة ... قوية ولها الرحمن حرّاس

وجثة نبتتْ مما يحلّ لها ... من المآكل مافى ضعفها باس

اجْعل طعامك من غير الحرام على ... مقدار علمك واترك ما به الباس (٤٢٨)

ويقول سيدى الشيخ قريب الله:

يزينك ما تنال من التَّلقِّى ... موائد من صلاتِ الأنْبياء (٤٢٩)

ويقول:

وإنْ رمقتك العين يومًا من العُلا ... فقد طاب فى ماء الحياة لَكَ الشرب

وطاب لك العيش الرغيد فعِشْ به ... فجهْلك لاجهلٌ، وذنبك لاذنب (٤٣٠)

---

(٤٢٥) سورة البقرة ١٩٧.

(٤٢٦) ديوان الحقائق ج ١ ص ٢٦٣.

(٤٢٧) رشفات المدام حرف الدال.

(٤٢٨) ديوان الحقائق ج ١ ص ٢٦٤.

(٤٢٩) رشفات المدام ص ١٧.

(٤٣٠) رشفات المدام ص ٢٨.

ويقول:

تـزوَّد قـريـنًـا مـن فعـالك إنّـمـا قرينُ الفتَى فى القبر ماكان يَعْمَلُ (٤٣١)

ويقول غيره:

أنـا نـقـلـى ومـدامـى ذكـرُكـم كلـمـا كـررتُـه يُسْتـعْذَبُ (٤٣٢)

آداب الشراب:

عـن أنس بـن مالـك رضى الله عـنـه قال: أتـانا رسـول الله ﷺ فى دارنـا فاسْـتـقى، فَحَلَبْنَـا له شاةً ثم شبتـه من ماء بئرى هذه؛ قال: فأعطيْتُ رسول الله ﷺ، فشرب رسول الله ﷺ وأبو بكر عن يسـاره، وعمر رضى الله عنه وجاهه، وأعرابى عن يمينه؛ فلما فرغ رسول الله من شرْبه قال عمر: هذا أبو بكر يارسول الله ـ يُريه إيّاه ـ فـأعْطى رسـول الله ﷺ الأعرابى وتـرك أبا بكـر وعمـر؛ وقال رسول الله ﷺ: الأيمنـون الأيمنون الأيمنون ـ قـال أنس: فهى سُنَّة، فَهـى سنة، فهى سُنَّة(٤٣٣).

هذا وقدا اسْتَعْمَلَ الصوفية لفظ (اليمين) لابمعناه الحسِّى، ولكن بمعنى رمزى يُفيد الصِّراط المستقيم، والنَّهْج الأمثل الـقويم، مستأنسين فـى ذلك بما ورد من قوله تعالى:

﴿ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴾(٤٣٤).

يقول المفسِّرون وتسميتهم بأصحاب الميمنة، إمّا لكونـهم مِنْ جملة مَنْ كُتُبهم بأيْمانهم، وإمّا لكون اليمين يُراد به الدليل على الخير(٤٣٥).

---

(٤٣١) رشفات المدام حرف اللام.

(٤٣٢) قاموس الأناشيد ص ٢٦٧.

(٤٣٣) صحيح مسلم ج ٤ ص ٨١.

(٤٣٤) سورة الواقعة ـ الآية ٨.

(٤٣٥) التفسير الكبير ج ٢٩ ص ١٤٢.

وعن قوله تعالى:

﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ﴾(٤٣٦).

يقول المفسرون: المراد بهم أصحاب القوة، أو أصحاب النور، أو مَنْ يأخذون بأيْمانهم كتبهم(٤٣٧).

وانْطلاقا ممّا تقدّم ورد مايأتى:

يقول النابلسى:

شربت كأسًا ثمّ ناولتُه ... مَنْ عنْ يمينى فضْلة الكاس
فإنْ حساها فَبِصِدْقٍ له ... وإن تقايا فبو سواس
هنالك الشيطان يلوى بهم ... عن خمرتى والكأس والطاس (٤٣٨)

هذا والمعنى الرمزى لما تقدّم، يُفيد أنّ الصوفى وقد جُبِلتْ نفسه على المحبة للمولى، أراد لمن ساروا على الصِّراط المستقيم من أصحاب النّور، وأهل النهج الأمثل أن يَصْدُقوا فى إقبالهم على الله لتبقى المحبة فى قلوبهم راسخة، حيث إنّه بالصدق لابغيره يُجَانبون طريق الشيطان، ويسْمُون عن وسْوسته.

* * *

(٤٣٦) سورة الواقعة الآية ٢٧.
(٤٣٧) التفسير الكبير ج ٢٩ ص ١٦٢.
(٤٣٨) ديوان الحقائق ج ١ ص ٢٧١.

خـــاتـمـــة

هذا، وفى ختـام هذا الكتاب نرجـو أن نـكون قد وفَّـيْـنَاهُ حـقه ـ أو بعض حقه ـ ونرجو من الله العلى القدير أن يجـعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأن يتولاّنا جميعًا بالهداية، والعناية، والرعاية، والأعمال الصالحة، والأخلاق النبيلة، إنه نِعْم المولى ونعم النصير.

* * *